أيقظي العبقرية الكامنة في طفلك



تأليف: شاكونتالا ديفي
ترجمة: عبير زياد الطبّاع

أيقظي العَبْقريّة الكامنة في طفلك

تأليف: شاكونتالا ديفي

ترجمة: عبير زياد الطبّاع



الطبعة الأولى
٢٠٠٩

العنوان الإلكتروني للناشر
info@al-ajyal.com

موقعنا على الإنترنت
www.al-ajyal.com


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

في خضم النزعة القوية المنتشرة في العالم هذه الأيام، والتي تدعو إلى تحرير المرأة وتحقيق ذاتها (ولا يعني هذا إلا خروج المرأة من بيتها والتخلي عن أطفالها للخادمات، وترك تربيتهم للمربّيات أولاً، ثم للنوادي والمدارس عندما يكبرون قليلاً)، في خضم هذا كله، ومن الغرب ذاته الذي بدأ هذه الدعوة، نجد بعض الأصوات التي تؤكد أن التربية هي أهم المسؤوليات والأعمال التي يقوم بها المرء؛ وليست عملاً جانبياً لا أهمية له.

مؤلفة هذا الكتاب هي معجزة في الرياضيات معرَّفة في كتاب غينيس للأرقام القياسية، وهي سيدة هندية، وتعمل حالياً للدفاع عن حقوق المرأة في الهند. من الملاحظ جيداً أنها أدركت بفطرتها الأنثوية أن نوال المرأة لحقوقها لا يتنافى مع عنايتها بأطفالها، وكما يبدو من عنوان هذا الكتاب فإنها تُعنى بتنمية قدرات الطفل العقلية واستغلال مواهبه إلى أقصى حد. إنها تؤكد أن كل طفل في العالم يمتلك نوعاً من الموهبة على الأقل، وهي تقدم بعض النصائح التي تفيدنا في اكتشافها، وتساعدنا في الوقت نفسه على الإسهام في نجاح الطفل مدرسياً ونجاحه في حياته مستقبلاً.

يمكن لكل الآباء والأمهات تطبيق نصائح هذا الكتاب بالطبع، لكن عليهم الحذر في اتّباع النصائح التي تعالج تجارب مدرسية إن

كان أطفالهم يعانون صعوبات في التعلم، ولو كانت هذه الصعوبات قليلة أو نادرة، ويصاحبها نبوغٌ في نواح أخرى مثل النواحي الرياضية أو الفيزيائية. ينبغي على الوالدين اللذين يشكّان في معاناة طفلهما مثل هذه الصعوبات استشارة اختصاصي، فقد يكون من الحكمة معرفة رأيه لأن هذه الحالات دقيقة جداً وقد تُقدَّر أكثر أو أقل مما هي عليه.

وأخيراً، ستلاحظين عندما تطبقين نصائح هذا الكتاب أنك لم توقظي عبقرياً فحسب، وإنما عقدت مع طفلك علاقة قوية ومتينة. وأية هدية أثمن من هذه لوالد محب؟

* * *

ملاحظة من مترجمة الطبعة العربية: الخطاب في هذا الكتاب موجَّهٌ لشخصٍ حيادي، إذ إن اللغة الأجنبية ليس فيها مذكرٌ ومؤنث للمخاطَب كما نعرف، ولكني جعلته مؤنثاً لاعتقادي أن الأم هي العنصر الأكثر فعّالية غالباً في تربية الطفل، كما تصرفت في بعض التعبيرات لتوافق لغتنا العربية وبيئتنا الإسلامية وتحقق الفائدة المرجوَّة منها.



-١-

هبةٌ من السماء

هل تعرفين أن بإمكانك أن تجعلي من طفلك عبقرياً؟ تأملي هذه الفكرة الفعالة. دعيها تدخل إلى أعماق نفسك وتشكّل جزءاً من قناعاتك، لا أنت ولا طفلك يمكنكما الشك فيها. لسبب بسيط: إنها حقيقة.

إن الطفل هبة من الله، الديانات كلها تعتبره كذلك. ولا غرابة في هذا، فمنذ اليوم الذي يرى فيه الوليد النور تفرض معجزة الخلق نفسها علينا. يمتلك الرضيع شخصية خاصة به؛ إنه يحرك ساعديه وساقيه، ويعبّر عن رغباته، ويتفاعل مع العالم المحيط به. إنه يتعلم جديداً كل يوم، ويكبر بطريقة مدهشة.

في قلب هذه المعجزة نجد قوة استثنائية، قوة رائعة حقيقية: هي المخ.

من بين مكونات الجسد كلها المخُّ هو الجزء الأكثر غموضاً بالتأكيد، وهو الجزء الأكثر استعمالاً غالباً. هذا النسيج العجيب الأبيض أو الرمادي يشبه الفطر ويزن في المتوسط كيلوغراماً ونصف كيلوغرام، ويحوي نحو ٣٠ مليار عصبون (خلية عصبية)، وفيه ٥١٠ مليارات خلية رابطة على الأقل.

إذا حصرنا الأفكار المحتواة في مخٍّ واحد، نجدها تتفوق على كل المكالمات الهاتفية في العالم، وعلى الكمبيوتر الأكثر قدرة.

إن طفلك يولد مزوَّداً بهذه المعجزة، هذه الهبة التي وهبها لنا الله، وهي مستودع لا ينضب يمكن أن يغرف منه الطفل باستمرار ليخفف عطشه الدائم إلى المعرفة. إنها نافذة يستطيع عبرها اكتشاف الطرق العديدة حوله ليحقق أحلامه وطموحاته. وبالطبع يُشترَط أن تكوني إلى جانبه لترشديه وتساعديه على تطوير هذه الموارد اللامتناهية، وستنجحين لو أردت. هذه الثقة تنتقل إلى طفلك، وهي تلعب دوراً أساسياً في تحقيق طاقة رائعة موجودة في داخله... طاقة العبقرية.

يُعرِّف معجم لاروس الفرنسي العبقرية كما يلي: «كفاءة طبيعية لشيء ما، قدرة مبدعة بشكل عام، طبع خاص متميز لشخص ما، شخصية عبقرية». معجم آخر (هو معجم روبرت) يُعرّفها كما يلي: «مجموعة الاتجاهات الإبداعية لشخص أو لمجموعة، كفاءة متفوقة في التفكير تجعل شخصاً ما قادراً على الإبداع أو الاختراع الذي يبدو غير مألوف».

كل كائن إنساني يمتلك «كفاءة طبيعية» و«طبعاً متميزاً». على الصعيد العلمي نعرف أن المخ يمتلك «قوة مبدعة» يمكنها أن تجعل الشخص «قادراً على الاختراع المتفوق»، فمن الواضح إذن أننا نملك جميعاً قابلية للعبقرية، وإذا لم نتصرف جميعاً على هذا الأساس فذلك لأن معظمنا لم يمتلك الحظ لرؤية هذه الطاقة المطلوبة مغذّاة ومنشطة حين كانت أكثر طواعية من أي وقت آخر: خلال الطفولة.

إن آباءنا لم يدركوا أن عبقرياً يسكننا، أو أنهم لم يصدقوا قدراته! إننا نُدهَش دائماً ونُعجب بالطفل الذي يُقدَّم لنا على أنه معجزة: طفلٌ في الثامنة من عمره يحفظ القرآن كله، وآخر يحصل على شهادته الجامعية وهو في الثانية عشرة... ولكننا حين نُعجب بهذه الإنجازات ننسى غالباً الدور المهم الذي لعبه أحد الأبوين، أب أو أم يعتقد بعبقرية ولده.

مهما كانت هبات وكفاءات طفلك فهو يستطيع التفوق في موهبته مدعوماً بقوة بحبك وثقتك. إنه لن يتألم من تعقيدات دونيته أو من النقص الذي يمكن أن يشكل عقبة في طريق نجاحه، بل على العكس من ذلك، سيُكوِّن صورة إيجابية عن نفسه، ويربح الاطمئنان الضروري ليحرر الطاقة الكامنة غير المستغلة في داخله.

منذ بضع سنوات، التقيت ربة عائلة لطيفة ومحبوبة. كانت تدفع ابنتها ذات الاثني عشر ربيعاً إلى الدراسة والمشاركة في الرحلات المدرسية وكتابة أشعار ومواضيع تعبير وحل مسائل رياضية معقدة. ومع كل ذلك باحت لي بقلقها: ابنتي لا تنجح جيداً في المدرسة وعلاماتها دائماً منخفضة. ماذا يمكنني أن أفعل أكثر من ذلك؟

استمعتُ إلى قولها بانتباه، ثم أخذتُها جانباً حتى لا تسمع ابنتها. أثنيت أولاً على جهودها ثم قلتُ لها: لو عذرتِني على هذه الملاحظة، أحب تنبيهك لما ينقصك.

- لكن ما هو؟

- الثقة، الثقة الكاملة في قدراتها. إنك في الوقت الذي تدفعينها فيه إلى كل هذه النشاطات تشدّينها إلى الوراء بعدم ثقتك فيها.

- ما العمل إذن؟

- الثقة فيها. ولو كنت مخلصة فسوف تعبِّرين عن هذه الثقة بكل ما تقولينه أو تفعلينه. إنها الآن مكتفيةٌ بطاعتك وبإنجاز كل ما تطلبينه منها، لكن دون رغبة ودون فهم الهدف من ذلك، دون ثقة بالنجاح، وقبل كل شيء دون ثقة بنفسها. إن قلبها لم يكن حاضراً.

- فهمت، لقد نوَّرتِني.

* * *

لم تَحوِ نصيحتي شيئاً خارقاً. إنها لم تكن إلا حقيقة بسيطة: **إنك لن تستطيعي إخراج العبقري من طفلك إن لم تقتنعي بكفاءته**. لن يثق طفلك بنفسه إن لم تثقي به أنت أولاً. إنه يمتلك القدرات العقلية الفطرية والدماغ المزود بقدرة عقلية ضخمة، نعم، طفلك يحوي في داخله منجماً رائعاً للاختراع والتخيل، لكن دعمك ومساهمتك الشخصية هما اللذان يسمحان له باستغلال هذه القدرات إلى أبعد مدى.

عندما تبدئين التدريس ستقومين بشرح موضوع ما بوقت وصبر كبيرين. لو أنك أحسست خلال شرحك الدرس أن أحد تلاميذك لم يفهم شرحك فستقومين بتقليص جهودك بشكل كبير، وبذلك تقودينه إلى الاعتقاد بقلة ذكائه، وتكون النتيجة علامات مدرسيّة سيئة... وهي نتيجةٌ مباشرةٌ لتوقعاتك. **إنك لن تجني نتائج مرضية إلا بترسيخ ثقتك في طفلك.**

يقدم لنا جواهر لال نهرو وابنته مثالاً واضحاً في هذا المجال. كان رئيس الدولة الهندية يثق بابنته ثقة مطلقة، وكان مقتنعاً بأنها

ستصبح يوماً ما رئيسة وزراء، فاقتنعت بدورها بهذا الرأي. مثالٌ آخر أقرب: المنتج والمخرج ستيفن شبيلبرغ: كانت أمه تعتقد أنه لا حدود لمواهب ابنها. في الحالتين النتيجة معروفة.

ولكن بالطبع توجد لهذه القاعدة استثناءات، فربما ظن معلم أحد الطلاب المبدعين أن تلميذه لا يمتلك أية موهبة، لكن هذا التلميذ اقتنع بقدراته واستطاع التغلب على كل العقبات فصار واحداً من أعظم العلماء.

لكن بما أن هذه القناعة والعزم لا يمتلكهما معظم الناس، ففقدان قناعتك في طفلك يمكن أن تخنق عبقرياً قبل أن ينشأ. وعلى العكس من ذلك، لو اقتنعت بمواهب طفلك فستكونين مثل الشمس التي تداعب أشعّتُها الزهرةَ لتساعدها على التفتح.

يحلم كل الآباء بأن يكون أطفالهم عباقرة. لكن قلة منهم يدركون أن تحقيق هذا الحلم يبدأ من عندهم.

* * *

باختصار، يمكنك الاحتكام إلى ثلاثة عناصر أساسية:

١- القناعة بقدرتك على إيقاظ العبقرية في طفلك.

٢- القناعة بقدرته على أن يصبح عبقرياً.

٣- عدم التصريح بأن طفلك قليل الذكاء أو التفكير بذلك.

لو استطعت ترسيخ هذه العناصر الثلاثة في نفسك بقوة، فأنت جاهزة لتنطلقي في أعظم مغامرة... تفجير العبقرية في طفلك.

* * *

-٢-

طفلي عمره ثلاث سنوات ويستطيع القراءة

هل تحبين أن تكوني واحدة من هؤلاء الأمهات اللواتي يُعْلِنَّ بفخر: "صغيري ذو السنوات الثلاث يستطيع القراءة"؟ لو كانت هذه هي حالتك، فاعلمي أن هذا الهدف قريب جداً من متناولك.

مع ذلك، وقبل أن تمضي أبعد من ذلك عليك بالتأكيد أن تسألي نفسك هذا السؤال: "لماذا أريد أن يقرأ طفلي مبكراً جداً؟". لكي تجيبي عن هذا السؤال بكل إخلاص قد يتوجب عليك أن تبحثي في أعماق نفسك. قد يكون هذا مُجهِداً، لكن هذا الهدف يستحق ما يبذل فيه. إن معرفة الأسباب التي تدفعك إلى تطوير مواهب ابنك أو ابنتك عنصر أساسي لنجاح مشروعك. وفي الواقع، سيكون لتوجهك أثر ثابت في طفلك طوال حياته.

عادة، نتمنى لطفلنا أن يكون عبقرياً لأننا نريد له الأفضل. لكننا نريد له أيضاً أن يصبح شخصاً سعيداً وحراً وناجحاً. عندما يكون هذا الهدف واضحاً في نفسك فأنت مستعدة إذن للبدء بالخطوة الأولى. لكن في كل مرحلة جديدة ذكّري نفسك بهذا المفهوم الأساسي: **أريد الأفضل لطفلي، إذن يتوجب عليّ أن أعطيه أفضل ما عندي.**

احتفظي بهذا المبدأ الأساسي في نفسك وفي قلبك، ردّديه في كل فرصة ممكنة، طبقيه في حياتك، استعمليه لتهيّئي جواً منشّطاً يساعدك على مضاعفة ثقتك في طفلك. بهذه القاعدة الصحية لن تفشلي أبداً في تغذية ذكائه وتفجير عبقريته.

* * *

لتطوير قدرات الطفل الصغير جداً، يمكنك تطبيق النقاط الأربع التالية:

١- **هيئي ظروفاً مناسبة**: فكري في زهرة الخُزامَى. لماذا تنمو بشكل رائع على أرض هولندا؟ لأن التربة ودرجة الحرارة وكمية الرطوبة والبيئة ممتازة كلها. إنها تُزهر بفضل **الظروف المناسبة**. بنفس الطريقة سوف تتفتح عبقرية طفلك بفضل المحيط الخصب الذي يمكنك تهيِئَته.

٢- **نعم للتشجيع، لا للأوامر**: الطفل حسّاس جداً للّهجة التي تكلمينه بها. تدربي على تكييف صوتك ليأخذ لهجة مُشجِّعة وهادئة. لو شعر طفلك أنه **مُجبَر** فلن تحصلي أبداً على النتيجة المأمولة. يجب أن يكون التعليم تجربة رائعة، ولن يكون هذا أبداً لو شعر الطفل أنه مجبَر عليه.

٣- **فليكن صبرك أكبر من توقعاتك**: لقد أثبت علماء نفس الطفولة أن الطفل في سنواته الست الأولى (وأكثر من ذلك أحياناً) لا يستطيع تركيز انتباهه أكثر من دقيقتين متتابعتين (وهو عنصر أخذته بالاعتبار بعض البرامج التلفزيونية مثل «افتح يا سمسم»). بمعنى آخر: بعد دقيقتين يمكن أن يُحوِّل الطفل انتباهه عن النشاط الذي

اقترحتِه عليه ليلعب بلعبته. لا تجبريه على العودة إلى التمرين، فلن تستفيدي شيئاً من ذلك. أثبتي صبرك، فقد يشعر طفلك بالضغط لو أنك اخترت هدفاً صعباً.

٤- **أعطيه الحب مع العلم**: يتجه الآباء (وهذا أمر طبيعي) إلى زيادة حماستهم وطلب الكثير دائماً. أحياناً قد تدفعك شدة حماستك لإيقاظ العبقرية في طفلك إلى نسيان عنصر أساسي جداً، وهو سعادة الطفل. كوني طويلة البال، وتذكري دائماً حبك لطفلك، ودعي فطرتك تقودك. لا يجب أن تكون العبقرية عبئاً على طفلك وإنما هدية. تعلّمي نقل معلوماتك وتشجيعاتك بلطف. لقد كتب أحد الحكماء ما يلي: "الإنسانية تحمل في داخلها إمكانيات هائلة للمستقبل، ونحن قادرون على تحقيق هذه الإمكانيات بشرط مضاعفة معلوماتنا ومحبتنا". لِمَ لا تبدئين، أنت مثلاً، بتعليم هذه الفكرة العميقة لطفلك العبقري؟

إننا نعيش هذه الأيام في عالم العبقرية، عالم متغير دائماً يتطور دون توقف. المعلومات تأتينا من كل أنحاء الكوكب في أجزاء من الثانية. قد يجد كثيرٌ منّا هذا النظام سريعاً جداً، لكن بالنسبة لمواطن المستقبل -طفلك- فإن هذه السرعة تبدو عادية! هذا السيل من المعلومات يشكّل جزءاً من حقيقة جيله، والمعرفة تساعده على فهم العالم وتكوين علاقة ناجحة به.

على امتداد عشرات القرون عرفت الأرض العصور الجليدية والحجرية والبرونزية. لقد تقبَّلَ الإنسان في كل عصر التغيرات الكبرى وصاحَبَها، مستغِلاً الظروف غالباً لتحسين وضعه. أما اليوم فقد دخلنا عصر المعلومات مع وسائل اتصالاته المتعددة: التلفزيون

والراديو والإنترنت. لكن هذه الوسائل كلها تبقى فقيرة مقارَنةً بشبكة التحليل والنقل التي تبقى دائماً أكثر تعقيداً وإتقاناً: المخّ. بينما تعبر المحيطات أطنان من المعلومات في وقت أقل مما يلزمك لقراءة هذه الجملة، يهضم المخ المستلم ويخزن هذه الكمية من المعلومات ليزداد حجماً.

طفلك مواطن عصر المعلومات منذ ولادته؛ لقد دخل بسهولة إلى البيئة التي ستستغل القدر الأكبر من قدراته، وإذا عرفت كيفية استغلال هذه الفرصة فستكون هذه أكبر هدية لطفلك. لقد رأينا أن موقفك هو الذي سيحدد تصرفاته، فهيِّئي جواً مناسباً؛ اختاري دائماً طريقة للتعليم عن طريق اللعب. باختصار، اتبعي القواعد الأربع المذكورة سابقاً، وسيصبح طفلك عبقرياً وسعيداً وذا مزاج حسن.

فلنعد إلى مثالنا في القراءة. قد تتساءلين: "ما الفائدة من تعليم طفلي القراءة في سنٍّ مبكرة؟". الجواب سهل: ليكون مستعداً. سيكون لديه الكثير ليربحه ولا شيء يخسره. بِحثِّه مبكراً جداً على القراءة ستفتحين له أبواب عالم المعرفة الذي لن يكتشفه عادة قبل سن الخامسة تقريباً.

بهذا التنشيط المبكر ستضاعفين قدرته على التخيل، وتوسعين مجال رؤيته (بواسطة الصور)، والعالَم بحاجة إلى الحالمين. دون التخلي عن الأساس المذكور سابقاً (**أريد الأفضل لطفلي، إذن عليّ أن أعطيه أفضل ما أملك**) وبالتعليم عن طريق اللعب ستُقوّين لدى طفلك رغبة لا تنتهي في التعلم.

التعليم عن طريق اللعب مهمٌّ جداً من عدة وجهات نظر. أعرف

-على سبيل المثال- أُمّاً لا تضيع أي فرصة لتعليم ابنتها، سواء أكان ذلك في أثناء الوجبات أم في أثناء الاستحمام، أو بينما هي تلعب أو تشاهد التلفزيون (وأكثر ما يمكننا استغلاله الساعات الطويلة التي نقضيها في السيارة). إن هذا لم يُنقِص أبداً من استمتاع الصغيرة، على العكس.

وفي الوقت نفسه كانت تضاعف مفرداتها وتُحسِّن طريقتها في الكتابة. باغتنام كل فرصة ضائعة للتعلم أنشأت الأم لدى ابنتها الشعور بأن الملاحظة والتعلم هما -بشكل طبيعي- جزء من الحياة اليومية، وهو درس ثمين جداً بالنسبة للطفل.

الطفلة تبلغ اليوم أحد عشر عاماً، وعمل الواجبات والنشاطات بالنسبة لها يجلب لها متعة بقدر متعة اللعب مع صاحباتها. أنا متأكدة أنها مع تقدمها في العمر ومواجهتها لدراسة أكثر تَقدُّماً وتَطلّباً لن تعرف أبداً توتر الامتحانات، ولا الكسل الذي يسببه شعور «**يجب عليّ أن أدرس**».

سبب آخر مهم لتطوير نوعية تعلّم طفلك الصغير: إنه يفتح له مجالاً واسعاً للاختيار. في الواقع فإن العبقري يملك -بفضل معلوماته، وقدراته الطبيعية المُستغَلَّة، وثقته الكبيرة بنفسه- حظاً أكبر للتأثير في أحداث حياته واختيار مستقبله.

خلال إحدى الرحلات التقيت مليونيراً يعيش حياة متواضعة. لقد بدأ العمل خادماً يوزع أكواب القهوة، ثم بفضل ذكائه وفضوله استطاع جمع بعض المعلومات ووفَّر جزءاً من راتبه. إنه يستطيع اليوم أن يحصل على ما يشاء، ومع ذلك فهو لا يعيش في قصر ولا يتنقل

في سيارة رولز رويس، ولا يملك جيشاً من العاملين في خدمته. إنه يعيش في بيت صغير في ضواحي المدينة ويلبس مثل كل الناس. لقد جرَّب بالتأكيد حياة باذخة لبضع سنوات، ولأسباب لا يعرفها سواه فضَّل العودة إلى طريقته القديمة في الحياة. لقد أسرّ إليّ قائلاً: "إني أعيش هكذا باختياري الشخصي".

الاختيار، هذه الحرية الكبرى. إن أي مليونير يستطيع اختيار العيش في الفقر، لكن الفقير لا يستطيع أبداً اختيار العيش في الترف. أعطي طفلَك إمكانية الاختيار. إنك تمنحينه القدرة على اتخاذ القرار الصائب في مستقبل حياته بمساعدته على بدء التعلم مبكراً، وباستثمار مواهبه المتفردة.

لاختصار الرسالة الأساسية في هذا الفصل نقول: **إن إيقاظ العبقري يتطلب - من طرف الآباء- تآزراً بين ثلاثة عوامل: حافز مخلص، وتمهيد مناسب، وأهداف بعيدة. بهذا التنسيق الذي قد يبدو معقَّداً تنبثق الفضائل العملية للعبقرية: أفكار فعَّالة، وخيال متوقّد، وتواضع يرافق كل ذلك.**

* * *

-٣-

ازرعي بذرة العبقرية

- أشارت ابنتي بإصبعها إلى أحد الأحرف وردّدت «أ»... إنها لم تخطئ! هذا لا يُصدَّق، فهي لم تتجاوز السنتين!

- حقاً؟ هذا مدهش! هل علّمتِها؟

- لا. لقد وُلدَت هكذا! إنها عبقرية صغيرة.

لقد فوجئت مؤخراً بهذه المحادثة بين أمّين شابتين في أحد المحال التجارية. وبينما كانتا تبتعدان وهما تتحادثان بحماسة، كنت أفكر أنه يمكننا الاعتقاد بسهولة أن طفلاً ذا سنتين يمكن أن ينقلب فجأة عبقرياً صغيراً، كما لو كان ذلك بفعل عصاً سحرية.

لقد علّم أحدهم هذه الصغيرة الحرف «أ» بكل تأكيد، بينما لم تعلم الأم شيئاً عن ذلك، فأسندت هذا الانتصار إلى قوة غامضة. ودون شك ستُحبَط لو علمت أن المعلم كان ببساطة أختها مثلاً...

لسوء الحظ، مثل هذه الأعمال الصغيرة هي التي تقنع الوالدين بأن طفلهما عبقري. في مثل هذه الحالة وأمام اكتشاف مماثل يولي بعضهم أهمية لتعليم هذا الطفل ويتمسكون بإغناء معارفه وخبراته، لكن العدد الأكبر منهم يبقى في وضع المراقب في مرصده، ثم يُفاجَأ

متأخراً، عندما يصبح الطفل في المدرسة، بأن براعم العبقرية التي أحسها في ولده لم تثمر.

طالما لم يقتنع الآباء بأن مخ الطفل الرضيع هبة من الله قابلة لإنتاج عباقرة في كل وقت، فسوف يستمر المجتمع بالتصفيق لبضعة موهوبين وإهمال الكثرة الباقية. وأية خسارة في هذا!

إنها في الواقع قصة متسول كان يفتش كعادته في أكوام القمامة، وجد قطعة ذهبية متسخة فرماها جانباً لأنه لا يعرف قيمتها. فلنتخيل المشهد بشكل أكثر تفاؤلاً: التقط المتسول القطعة الذهبية فلمّعها بطرف كمه وتفحصها، ثم برقت عيناه حينما أدرك ما يمسكه بين أصابعه. يمكنك أنت أيضاً اختيار النظرة المتفائلة؛ يمكنك القيام ببعض الأعمال لإيقاظ العبقرية في طفلك منذ اليوم.

منذ بضعة أسابيع كنت أتحدث مع صديقة قديمة تعمل في الصحافة، وفي أثناء تبادلنا ذكريات الطفولة سألتها فجأة: هل تذكرين حين كان عمرك ثلاث سنوات؟

- ماذا أذكر؟

- لم تكوني تعرفين القراءة، ومع ذلك كان بإمكانك معرفة عناوين الأغنيات على أسطوانات والديك القديمة.

- فعلاً.

- كان والدك يسمّي لكِ إحدى الأغنيات، فكنت تتدرجين على الفور إلى رف الأسطوانات فتبحثين بعض الوقت، ثم تحضرين الأسطوانة المطلوبة.

بقينا صامتتين بضع لحظات ثم سألتها: كيف كنت تفعلين؟

أجابتني و هي تحرك كتفيها: لا أعرف؛ ربما كانت بطاقات الأسطوانات ذات ألوان مختلفة.

- أنا متأكدة أن هذا غير صحيح.

لقد لاحظت بنفسي في تلك الأيام أن بطاقات الأسطوانات كانت حمراء متماثلة. لم تكن صديقتي تتذكر الطريقة التي كانت تعرف بها قراءة العناوين، ومع مضي الوقت أعتقد أني توصلت إلى حل هذا اللغز. لقد كانت والدتها مولعة بالموسيقى، ونقلت لابنتها -لاشعورياً- تذوقها للموسيقى، فحركت بهذا التذوق كفاءتها للقراءة.

البعض يتكلمون عن ظاهرة عجيبة أو عن حالة خاصة، لكن هذه الحكايات الصغيرة يمكن أن تتكرر في أية عائلة. في الواقع فإن أكثر الأطفال جديرون بتعلم تمييز كلمة ما في سن مبكرة جداً، لكن كيف؟ بطريقة مماثلة لتعلم لغة الكلام: يتعلم الأطفال الكلام بكل بساطة لأنهم محاطون بأشخاص يتكلمون. وبنفس الطريقة، حتى يتعرفوا على كلمة مكتوبة، علينا أن نواجههم باللغة المكتوبة.

القصص المصوَّرة التي لا تحوي أياً من الكلمات (أو تحوي قليلاً منها) لن تساعد الطفل على تعلم القراءة، وعلى العكس من ذلك فإن التصفح المنتظم من آن لآخر لكتب تحوي صفحات مكتوبة وبعض الصور ستحرك فضول الطفل؛ ستجعله يهتم بالقصة ويألف اللغة المكتوبة في نفس الوقت. ولو أنك تابعت -في أثناء قراءتك- كلمات الكتاب بإصبعك فلن يعجز الطفل عن تمييز بعض الكلمات،

ولا سيما تلك التي تتكرر كثيراً.

يمكنك أيضاً استخدام البطاقات لتقديم الأشياء التي يراها في محيطه. اكتبي على بطاقات بيضاء بخطّ كبير كلمات مثل: «دب»، «قطة»، إلخ، ومارسي اللعبة التالية: ضعي الألعاب على الأرض حول طفلك، وعندما يلتقط إحداها أريه البطاقة التي تُعبِّر عنها مع لفظ اسمها. كرري العملية طالما هو مستمتع بها، ثم اقرئي له قصة عن «دب» أو عن «قطة» مثلاً. هذه الطريقة تنقش اللفظ في ذاكرة طفلك وتُطوِّر قدرته على تمييز الكلمات بتوسيع دائرة مفرداته قليلاً قليلاً. تستطيعين بعد ذلك تحميس طفلك ليروي لك حكاية من تأليفه، ثم كتابة ما يعرفه من مفرداتها. وعندما ينتهي اقرئي له قصته مع الإشارة بإصبعك إلى كل كلمة، فإن معرفته بالكتابة تتزايد عندما يرى نصّاً صيغت كلماته من مفرداته الخاصة.

لا تتوقعي هنا أي حدود للوقت، فيمكن لطفلك أن يتعلم في بضعة أيام أو بضعة أسابيع أو حتى بضعة أشهر. كل شخص يختلف عن الآخر، وما نختبره هنا ليس قدراته... وإنما قدراتك! موقفك وصبرك ومثابرتك، هذا هو الامتحان. وقد يلزمك استعمال طريقتك الخاصّة لتكوني أكثر تشويقاً للطفل.

أعرف معلمة في روضة أطفال ابتكرت طريقتها الخاصّة لتُعَلّم طفلتها القراءة. كانت تُخَبِّئ خلف ظهرها بطاقة كتبت عليها إحدى الكلمات، ثم تُفاجئ طفلتها بطريقة مرحة وتقول لها: ماذا تُخبئ ماما لحلوتها؟ فترفع الطفلة ذات العام الواحد عينيها لتحاول التقاط اللعبة المُخبَّأة. وبعد إعطائها اللعبة تُريها أمها البطاقة بابتسامة كبيرة

وتنطق أمامها بمرح: «قطة». همهمة الطفلة الراضية أثبتت نجاح اللعبة، وتعلمت قراءة الكلمات في وقت قياسي. بعد وقت قصير انتقلت إلى الجُمَل القصيرة، ثم اشترت لها أمها قصصاً قصيرة مليئة بالمعلومات المهمة. وفي الرابعة من عمرها فاجأت الصغيرةُ جميعَ من حولها بأُلفتها الكبيرة مع اللغة المكتوبة.

يمكن أن نُفسر النجاح هنا بثقة الأم بابنتها: بفضل صبرها وتمهيدها للتعليم باللعب، فاستقبلت الطفلة كل **لعبة قراءة جديدة** بحماسة وفرح.

تستطيعين أنت أيضاً بنفس الأسلوب ابتكار طريقتك الخاصة لتوصيل الاهتمام باللغة المكتوبة لطفلك، ولكن لا تنسي أن قاعدة النجاح الأساسية هي حبك غير المحدود لطفلك أو طفلتك. وصدقيني أنك لن تندمي مطلقاً على جهودك.



-٤-

الكلمة لمن يستيقظ مبكراً

إن طفلك يطوِّر حواسه باستمرار منذ ولادته. ربما لا يعمل في البداية شيئاً كبيراً سوى الصراخ والثغثغة (المناغاة) والتثاؤب، لكنه منذ ذلك الوقت يهتز بالمحادثات وكل أنواع الضجيج. منذ أن يتحدد نظره يستطيع تمييز الوجوه التي تنحني عليه، والتي تبتعد عنه لتعود بعد ذلك. تتطور عنده حاسة النظر، وبعد ذلك بوقت قصير يرغب الطفل في المشاركة في المحادثات العامة، لكنه لا يستطيع أن يتجاوب مع أحاديث الكبار إلا بالمناغاة. الحواس تستيقظ، لكن يشاء الله أن يكون ذلك حسب نظام معين ليكون للآباء دورهم في إيقاظها.

غنّي وتكلمي والطفل يقلدك، يُجهد نفسه لينطق مقاطع وكلمات. إنه يسمع باهتمام ويُطوِّر بذلك حاسته السمعية، ثم يربط بين الصوت والصورة. إنه يلاحظ أن كلامه متبوعٌ غالباً بفعل، وكلما كان تفاعلك معه في هذه المرحلة أكبر، كلما كان تطور حواسه أسرع. في الوقت نفسه تتطور عواطفه وقدراته على الملاحظة مع فضول فطري نحو العالم وتعطش حقيقي للمعرفة، وبتحريض هذا التطور يمكنك زيادة قدرة طفلك على تكوين روابط بين الكلمات

والأشياء. بعد ذلك سيستطيع تحليل هذه الروابط وإعطاءها معاني مختلفة.

التبادل بينك وبين طفلك أساسي في هذه المرحلة، ولصوتك وغنائك تأثير عميق فيه. إنه سيرغب سريعاً جداً في الكلام متأثراً برغبته في إجابتك ومشاركتك، وسوف تحثّينه بهذه الطريقة على التواصل بالأداة التي علَّمتِه إياها بنفسك: الكلام.

إن سماع الطفل لصوته الخاص يُشكّل حافزاً قوياً. مثلاً: عندما تخرج كلمة «قطة» من بين شفتيه يُعبِّر الطفل عن سعادته، حتى لو كان يجهل السبب. إنه -بكل بساطة- يكتشف مواهبه.

أنت أيضاً ستحسين بالسعادة لسماعك طفلك يُعَبّر بالكلام، وسوف تصفّقين عفوياً للتعبير عن رضاك عن طريقتك الخاصة. وسيحاول الطفل إعادة التجربة بسعادة، فهو يستمتع باستثمار حاسته السمعية.

تلعب الأناشيد دوراً هامّاً في هذه المرحلة، ولأغلبها سحر لا يُقاوَم ووظيفة تعليمية أكيدة. إن فعاليتها تكمن في الوزن والقافية بشكل أساسي، فالقافية تُنبِّه السمع وتُعلِّم شيئاً ثميناً: إنها تساعد الطفل على التفريق بين كلمات متقاربة في الوزن. انظري إلى هذه المقطوعة مثلاً:

أنـــا أحبّ أسـرتـي — أمّي، أبي، وإخوتي
أبـي الحبيب يعمـل — لـكـي تَتِـمَّ فَـرحتي
وأمُّـــنــا رحـيـمـةٌ — تحب دومـاً راحـتي
ولـــي أخٌ أحـــبّــه — تَـسُـرّه سـعـادتـي

فلنَرَ كيف يُؤثر هذا النظم في طفلك. في بداية الأمر يستمتع بالوزن والقافية، إنه سيركز أولاً على الوزن، ثم سيرغب بعد ذلك في الغناء معك، متردداً أولاً ومتعثراً في نطق الكلمات، ثم بثقة أكبر شيئاً فشيئاً. عن طريق الغناء يمكنه أن يتعلم التفريق بين الكلمات: «إخوتي»، «فرحتي»، «راحتي»، إلخ. وبفضل طريقة التكرار المترابط في الأناشيد سيتعلم الطفل الكلمات ومعانيها بطريقة مسلية وفعّالة في نفس الوقت.

سيكون لتطوير مهارات الكلام لدى الطفل في وقت مبكر أثر فعّال في تعلّمه للقراءة؛ فكلما تعلّم الكلام أسرع كلما أمكن تعليمه أسس القراءة في وقت أبكر. إن الروابط بين الأصوات هي أول خطوة لتعلّم القراءة، فالقراءة في الواقع ليست أكثر من حديث مكتوب، أو بشكل أكثر بساطة: «كلام مطبوع». وأنت عندما تشجّعين طفلك على الكلام فإنك تدفعينه في الوقت نفسه إلى استعمال كفاءة فطرية: السمع. فهو يستمتع بمحاولة نطق ما يسمعه، ويصبح مع الوقت أكثر فضولاً ورغبة في اكتشاف هذه الظاهرة الجديدة بالنسبة له.

عندما بلغت أنورادا (وهي ابنة إحدى صديقاتي) العام الأول من عمرها وصار باستطاعتها الجلوس على المائدة مع أسرتها، سألتها أمها ذات يوم عن أسماء الأشخاص الموجودين حول المائدة، فاستطاعت نطق اسمها واسم أمها، أما جدتها فكان اسمها صعباً بالنسبة لها، فاستمرت أمها في ترديد اسمها مع كل لقمة، فلم يبلغ الطعام نهايته حتى استطاعت الفتاة نطق الاسم. ومن فرحتها بانتصارها طلبت من أمها تعليمها مفردات جديدة.

يمكنك تسهيل التواصل مع طفلك بالحديث معه عن خبراته

اليومية، وهكذا تحررين عبقريته حتى قبل أن يدخل مدرسة الروضة. إنك تزرعين رغبته في التعلّم وتُحرِّضين استعداده الطبيعي حينما تشجّعينه على الكلام والتعرف على الكلمات وتأسيس الروابط بينها، كما أن جهودك تساهم في توسيع حياته الثقافية أيضاً.

* * *

إننا نسمع دائماً عبارات مثل: «لديك كل الحياة أمامك» لتحقيق هذا الشيء أو ذاك. الحياة أمامك؛ إنها أغلى هدية مقدمة للبشرية، ولو استطعنا أن نزيد الوقت الذي نملكه منها بضع سنوات نكون قد قدمنا لأنفسنا أكبر خدمة.

قرأت مؤخَّراً مقابلة رياضية كان المعني فيها بطلاً في رياضة كمال الأجسام. كان يرى أن التدريب اليومي يُشكّل نوعاً من الإجبار، ولم يكن يفهم هؤلاء الناس الذين كانوا يرفضون كل تمرين رياضي بحجة نقص الوقت. كان يقول: "لو رأيت أني لا أملك الوقت فيكفيني إطالة يومي بالاستيقاظ مبكراً ساعة واحدة". لقد تلقيت درساً ثميناً من هذا التعليق الفكاهي، فقد وجد هذا الرياضي الطريقة لإضافة ساعة إلى يومه لممارسة الرياضة. وبالطريقة نفسها، عندما تبدئين مبكِّرة بتشجيع قابلية التعلم لدى طفلك فإنك تزيدين فترة تطور مواهبه العقلية.

أتذكر تأسُّف كاتبة ذات أربعين سنة بقولها: "ليتني أصغر من عمري بعشرين عاماً". لقد كانت سيدة ذكية ممتلئة بالموهبة، عملت قبل ذلك في شركة طيران، لكن حدثاً مهماً في حياتها دفعها إلى تغيير مهنتها ليُفتح أمامها عالَمٌ جديد. كانت ممتلئة حماسة، فقد

شعرت أخيراً بأنها وجدت نفسها في هذا العمل، كما اتسع أفقها لتربح الأمن وتكتشف في نفسها القدرة على الإبداع. كانت طفلة مدهوشة قدَّمت لها مهنتها الجديدة الفرصة لتطوير شخصيتها بلا حدود تقريباً. إن كلماتها هذه (ليتني كنت أصغر بعشرين عاماً) تُعبِّر عن أسفها على هذه السنوات الضائعة والفرص غير المغتنَمة، تماماً كالعبارة التي نسمعها كثيراً: «آه، لو أنني فقط بدأت أبكر قليلاً».

أبكر قليلاً... وأنت حين تبدئين في وقت مبكر بالحث على التعلم وتطوير المهارات فإنك توفرين على طفلك هذا الأسف على ضياع العمر وتطيلين الوقت الذي يمتلكه، وبإيقاظ حواسه تقدمين له سنوات إضافية لا تساعد فقط على إيقاظ عبقريته، بل أيضاً على النجاح في حياته.



-٥-

«أَلِف باء» مشاركتك الإبداعية

إيقاظ العبقرية ليس فنّاً فقط، بل هو موهبة أيضاً. عليك التصرف دائماً بشكل منفتح وإيجابي تجاه الفعّاليات العقلية. لا تنسي أن طفلك يتخذك قدوة، فعليك أن تنمّي فيه حبّاً عميقاً لاحترام العلم والمعرفة. إن علاقته بالقراءة تتوقف -إلى حدّ بعيد- على رابطتك الشخصية بالكتب. لو أنك مثلاً أسررت إلى إحدى صديقاتك كم كنت تكرهين القراءة في صغرك، وطفلك يسمع ما تقولين، فسيكون لذلك تأثير سلبيّ فيه. وعلى العكس من ذلك، عندما يراك غارقة في قراءة الصحيفة اليومية، أو لو صاحَبَك إلى المكتبة لاختيار بعض الكتب والروايات، فسوف يفهم أنك تحبين القراءة ويحاول أن يكون مثلك، ثم يمنحه فضوله الطبيعي وإحساسه بالانبهار شعوراً فائقاً بالسعادة مستوحى من تصرفاته.

١- كُتُب، كُتُب، دائماً كُتُب

اشتري لطفلك قصصاً مليئة بالصور والألوان. ستكون هذه القصص بالنسبة لطفلك كنزاً رائعاً يتشوق لتلَمُّسه بيده.

٢- اقرئي بصوت عالٍ

امنحي طفلك يوميّاً خمس عشرة دقيقة لتقرئي له قصة أو

تنشدي له نشيداً. بالإضافة إلى الفائدة التربوية لهذه الجلسات، سوف تجنين فائدة أخرى ربما كانت أكثر أهمية: وهي إنشاء علاقة قويّة وحميمة بينك وبين طفلك.

للقراءة بصوت عال فائدة مزدوجة. أولاً، سيكون طفلك سعيداً جداً عندما يحسّ أنك تكرّسين له كل انتباهك. فهو يشعر أنه محبوب عندما يجلس قريباً منك فيقوّي هذا الحب ثقته بنفسه. ومن جهة أخرى، سوف يستمتع بالقصة وبطريقتك في روايتها ويظل منتبهاً بكل حواسه ليعرف الأحداث التالية.

لقد ثبت بالتجربة أن أفضل وقت لهذه الممارسة هو الوقت الذي يسبق النوم، بعد أن يتعشى الطفل ويغتسل، ويلبس منامَته المريحة ثم يندس في سريره؛ عندئذ يكون في أفضل حالاته لسماع حكاياتك. وربما أحبّ اختيار القصة التي يسمعها، فاتركيه يفعل. قد يختار القصة التي سمعها بالأمس أو قبل الأمس؟ لا تهتمي لذلك؛ فالإعادة مفيدة للطفل.

قد تشعرين أحياناً بأن طفلك قليل الصبر، فقد يقفز من فوق الصفحات ليصل إلى النهاية بأسرع وقت ممكن. لا تفقدي شجاعتك، فربما كان يجتاز حالة من عدم الرضا. قد يرغب في قصة أخرى أو يرغب بالانتقال إلى أنشودة قبل النوم، سايريه في ذلك، فليس في الأمر خسارة. أهم شيء أن يشعر طفلك بحريته في اختيار ما يسلّيه، ومع الإحساس بالسرور تأتي الرغبة في التعلم، في الوقت الذي يشعر فيه أنه قادر على التقدم بطريقته ورغبته.

لجعل القراءة أكثر متعة لا تتردّدي في ممارسة موهبتك في التمثيل، حيث تحكين القصة بصوتك العادي، ثم تغيّرين لهجتك

أثناء الحوار لتضفي الحياة على الأشخاص المختلفين وتزيدي متعة طفلك بشكل ملحوظ.

٣- كوني مثابرة

لا تؤجلي جلسات القراءة هذه إلى يوم آخر مهما كان السبب: رنة هاتف، أو زيارة غير متوقعة، أو أعمال منزلية، أو أي سبب آخر؛ لأنك بهذا تكونين قد أهملت طفلك و قلّلت من قيمة القراءة في نفس الوقت.

أعرف أمّاً لا يعيقها عن حكاية المساء عائق، حتى انقطاع الكهرباء. كانت في هذه الحالة تُشعل كثيراً من الشموع وتختار قصة ذات خطّ كبير.

كلما كنت أكثر مواظبة كلما اعتاد طفلك على القراءة أكثر. يمسك معك الكتاب ويُقلّب الصفحات، وربما يعود إلى الخلف ليتحقق من صورة أو من كلمة. بعد وقت قصير قد يعيد عليك جملة حكيتها في قصة سابقة لأنه رأى تشابهاً بينها وبين القصة الحالية، أو يشير بإصبعه إلى إحدى الصور ويستعمل كلمة تعلّمها حديثاً. إن القراءة بالنسبة إليه عملية مهمة جداً يشارك فيها بكل حواسه، وأنت التي تنقلين إليه هذه الأهمية، حيث يكبر نابغتك الصغير وهو مقتنع بأن الكتب هي أشياء مسلية ولا يُستغنى عنها في الوقت نفسه.

٤- الصور والكلمات هي علامات

يبقى الطفل غارقاً في عالَم غامض من الأشكال والأصوات قبل أن يستطيع القراءة وحده، فهو يحاول أن يُضفي المعاني على ما يرى

ويسمع، مثل المحقق الذي يبحث عن الجواهر المسروقة، يبحث عنْ علامات. إن الصور تساعده على معرفة شخصيات القصة، والكلمات تمنحه علامات إضافية، كما يمكنك إضافة كثير من أفكارك الخاصة. لنفترض مثلاً أن أحداث القصة تدور في القطب. ليس من المؤكد أن ينجح الطفل في تخيل هذه البيئة، لذلك كلّميه عن البرد والجليد والثلج وصعوبة الحياة، فتأخذ القصة تضاريس مختلفة تماماً. ويكون هذا غالباً بمساعدة كاتب القصة الذي يعبّر عن المعاني بلمسة شعرية تضفي جمالاً على الحكاية.

٥- التجربة تُغني المعنى

القراءة تشبه طريقاً ذا اتجاهين. إن المؤلف والرسام يُجريان الأحداث تدريجياً عبر الكلمات والرسومات بالتأكيد، لكن مهمة القارئ ليست سلبية. إنه قادر على أن يُضمّن هذه الكلمات والرسومات كثيراً من تجاربه الشخصية (أو إيحاءاته التربوية). وهكذا فإن ما يستخرجه من الكتاب يعتمد أيضاً بدرجة كبيرة على ما يضيفه إليه.

يمكنك ببساطة التحقق من ذلك بنفسك. مثلاً، لو أن طفلك انتهى لتوه من اللعب مع قطة الجيران ثم رأى صورة قطة أو سمعك تروين قصة عن قطّ كبير، فإنه سيعبّر فوراً عن سروره. إن تجربته الشخصية تقدّم إلى تلك القصة مزيداً من المميزات، أكثر مما لو كان بطلها خلد الماء -مثلاً- الذي ربما لم يسمع به الطفل قبل ذلك.

إن الأشياء التي نعيشها تضيف مزيداً من التشويق؛ ولهذا السبب فإن من المفيد إخراج الطفل -منذ طفولته المبكرة- إلى

الحدائق العامة أو إلى حدائق الحيوانات والطيور والأسماك. أنت أو أبوه بوسعكما اصطحابه أيضاً إلى المصرف أو إلى الحلاق أو إلى السوق، أو إلى أي مكان آخر ترتادانه، ولا مانع كذلك من اصطحابه في بعض الأحيان لزيارة الأصدقاء وإرشاده إلى التصرف السليم (حين يكون مثل هذا الأمر مناسباً بالطبع).

الرحلات مصدر مهمّ للمعلومات أيضاً، وسوف تجدين أماكن مناسبة للزيارة حيثما كنت تسكنين. عندما تذهبين في رحلات من هذا النوع احرصي على التزود بكتب أو كتيبات مصورة أو بطاقات بريدية، وعند عودتك إلى المنزل يمكنك تبادل انطباعاتك مع طفلك ومناقشته بشأن ما أحبه أو لم يحبه، ومعرفة ردود فعله حول هذا المكان. وفي وقت لاحق يمكنك استخدام هذه الوثائق لاستعادة ذكريات هذه الرحلة.

ستملكين بهذه الطريقة عدة مناسبات لإنعاش المحادثة مع طفلك وزيادة معارفه.

٦- من الاهتمام إلى الانبهار

يستقبل طفلك يوماً جديداً في كل صباح. إن الأمس والغد لا يعنيان شيئاً بالنسبة إليه، بل الحاضر هو كل ما يشغل ذهنه. كل ما يراه حوله يجعله ينبهر: النحلة التي تطنّ فوق الزهرة أو الحَجَر الموجود على الرصيف... كل شيء. إنه ينبهر بالناس، وبتعبيراتهم، وبطريقتهم في الكلام والضحك. الحياة كلها تبدو له مغامرة سحرية مثيرة يكون فيها تارة مراقِباً وتارة بطلاً. يمتلئ رأسه الصغير بالاكتشافات الجديدة، فيميل إلى التعبير عن أفكاره

بصوت مرتفع وإلى طرح الأسئلة المختلفة عن الأشياء والأمكنة والحيوانات والنباتات. **لا تنزعجي من كثرة أسئلته، فهي التي تقوده إلى المعرفة.** شجّعي هذا الفضول النَّهِم فهو يساهم مساهمة فعّالة في نمو عبقريته.

٧- ألعاب الكلمات

للكلمات سحرها الخاص لدى الطفل، فتعلُّم كلمة جديدة بالنسبة إليه مغامرة شائقة. سيحاول استخدام هذه الكلمة بعد ذلك طوال اليوم في كل جملة ينطقها، فقط من أجل لذة سماعها تخرج من فمه. يمكنك زيادة سروره باقتراح بعض الأحاجي أو ألعاب كلمات متماثلة في القافية. الأناشيد هنا تلعب دوراً هاماً لأنها تحوي القافية المتماثلة:

مخلوقة غريبة — صغيرة عجيبة
تعيش في خلايا — كثيرة الزوايا
تطير للأشجار — والزهر والثمار
تمتص منها الماء — وتجمع الغذاء
من عسل مصفّى — نأكله فنشفى

إن الأطفال مغرمون بالأصوات. وقد طلب أحد الآباء من أبنائه يوماً الاستشهاد بكلمات تقلّد أصواتاً، فكان الضجيج الناتج عن هذه التجربة يشبه صوت الألعاب النارية في أحد الاحتفالات، وكان الأولاد في غاية السعادة. مثل هذه الألعاب الخيالية تضفي لمسة سحرية في السياق التربوي، فيبقى الأطفال دائماً ممتلئين حماسة لزيادة معارفهم. وهذا هو أساس العبقرية.

٨- والآن ابدئي بالنشيد

لقد أثبتت أبحاث مهمّة الأثر الإيجابي للإيقاع الموسيقي في العملية التربوية، فهو يعمل على تحرير الأدرينالين أو الأندروفين ليُسبب الإثارة أو الاسترخاء حسب نفسية السامع أو نوع اللحن، فالأنشودة التي تُدَندنها الأم لترسل طفلها إلى مملكة الأحلام لها تأثير مهدّئ، أما الأغنية الحماسية فتدفع الطفل إلى القفز أو الرقص.

عندما تكون الأنشودة من نوعية جيدة (شعراً راقياً) فهي أيضاً وسيلة تعليمية، إذ يبدأ الطفل بتقليد الأصوات المختلفة التي يسمعها فتُكسبه سليقة شعرية سليمة.

لقد أثبتت أبحاث متقدمة في عدة جامعات التأثيرَ العلاجي الفعّال للأصوات الموزونة، وأثبتت دراسات أخرى علاقة بين الحس الموسيقي والكفاءة اللغوية. ولا شك أن للألفة الطويلة مع الكلام الملحَّن تأثيراً إيجابياً على الأطفال وعلى قدرتهم على التعلم.

٩- سيل الأسئلة

منذ بدء الطفل بتعلم مفردات اللغة فإنه يستخدمها لطرح الأسئلة، ولا غرابة في ذلك، فهذا يشكّل جزءاً من تطوره الطبيعي، وهو يدل على تعطشه اللامتناهي إلى المعرفة. أجيبيه بطريقة واضحة وبعيدة عن التعقيد قدر الإمكان، أما إن كنت غير ملمّة بالجواب فأقرّي بذلك بكل بساطة: "أنا لا أعرف الإجابة عن سؤالك، لكن يمكننا البحث في المعجم" (أو في الموسوعة أو أي مرجع آخر). ابحثي معه عن الجواب واقرئي له المعلومة التي حصلت عليها. شجّعي فضوله واهتمّي دائماً بتساؤلاته، فهذا يعود عليه بالفائدة.

لقد قال أحد الأساتذة الكبار ذات يوم: إن الشيء الأكثر أهمية لكل منّا في هذا العالم هو تعلُّمُ الحياة.

وهذا هو بالضبط ما يفعله الطفل: **إنه يتعلم الحياة**؛ إنه -منذ طفولته المبكرة- يستقي الجواهر البرّاقة من معلوماتك. إنها تلمع داخله في كل لحظة فيطلب المزيد دائماً: لماذا؟ كيف؟ ماذا؟ متى؟ أين؟

١٠- إثراء يوميّ بالمفردات

من الأهمية بمكان زيادة مفردات طفلك في سنّ مبكرة، لأن ذلك يقوّي حبه للمعرفة، بالإضافة إلى أن الخيار الواسع من المفردات يمنحه القدرة على التعبير بدقة ويزيد متعته بالقراءة.

توجد عدة طرق مفيدة ومسلية في الوقت نفسه لزيادة مفردات طفلك، لكن أفضلها هو ما يمكن تطبيقه في حياتنا اليومية. شجّعي طفلك على وصف العالم المحيط به. استفيدي من واجهات المحلات التجارية واللوحات الإعلانية والجرائد والمجلات، وعندما يرى قطة -مثلاً- اسأليه عن لونها، وخلال نزهاتكم التقطي بعض الحصى وناقشي مع طفلك شكلها وحجمها... كل ذلك يُشكّل مصدراً ممتازاً لزيادة مفردات طفلك.

كلما اتسعت مفردات الطفل اتسع نطاق تفكيره. يمكن للطفل الانتقال سريعاً من **عَوْعَوْ** إلى **كلب** ثم إلى **جرو**، ومن **زهرة** إلى **وردة** أو **ريحانة**، إلخ. كل تعبير جديد يساعده على التعبير عن أفكاره بشكل أفضل وكل كلمة تقوده إلى أخرى، فتنفتح له سلسلة لانهائية من المعرفة. وهكذا يصبح التعليم لعبة مليئة بالسحر.

منذ مدة قريبة دُهشتُ لسعة مفردات فتاة صغيرة عالقة في مصعد من جرّاء عطل طارئ. بعد الحادث أسرعت نحوي صارخة: "لقد أنجدني رجل الإطفاء". إنها لم تقل "ساعدَني" أو "أنقذني"، ولكنها قالت "أنجدني"، وهي كلمة أقل استعمالاً.

إن حياتنا اليومية غنية جداً بالطرق التربوية، فاعملي على استغلالها بقدر الإمكان لمصلحة عبقريّك الصغير.

١١- كلمةٌ واحدة ومعانٍ متعددة

كلما اتسعت مفردات طفلك شجّعيه على البحث عن معان مختلفة للكلمة نفسها. في أثناء إحدى رحلاتي الاستجمامية النادرة كنت أستمتع بأمسية هادئة على شاطئ البحر، فلاحظتُ عائلة تجلس بالقرب مني، و كان أطفالها يصنعون قصراً من الرمال، ثم وضعوا اللمسات النهائية بالتّربيت على جدران الرمل، ثم تراجعوا بضع خطوات ليتأملوا نتيجة جهودهم. إنهم لم يهملوا أيّ تفصيل: غرف مجهزة بمكيفات هواء، وحدائق معلقة، وخزّانات مياه... كانوا يتأملون تحفتهم بفخر عندما أقبل فجأة غلام ذو أربع سنوات ليحطم برجاً بمجرفته. بدأ باقي الأطفال في الحال بإصدار صيحات الاعتراض، وقال أحدهم: "سأقضي عليك إن لم تتوقف في الحال". كان يمكن أن يتطور الوضع إلى مشاجرة عنيفة لولا تدخل الأم التي حوّلت مسار المناقشة إلى لعبة جديدة؛ لقد وجَّهَت انتباهها إلى الطفل الذي كان يستعد لضرب الصغير مستخدماً عبارة "سأقضي عليك" فقالت: هل تعرف أن كلمة "أقضي" التي استخدمتها تحوي عدة معان؟ مَن منكم يا أطفال يمكنه أن يعطيني معاني أخرى لكلمة "قضى"؟ لاقت اللعبة نجاحاً كبيراً، فقد أعطى كل طفل مفهومه

الخاص للكلمة:

- قضى بمعنى حكم وفصل؛ كما يقال: قضى القاضي بين الخصمين.

- وقضى بمعنى أمر، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ ألاّ تَعْبُدوا إلاّ إيَّاهُ﴾.

- وقضى بمعنى صنع؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾.

- وقضاء الحاجة هو إنجازها وأداؤها؛ كما في قوله تعالى: ﴿إلاّ حَاجَةً في نَفْسِ يَعْقوبَ قَضَاهَا﴾.

- ويُقال للميت «قضى» إذا فرغ من الحياة.

وأخيراً ختمت الأم الحوار بقولها: والآن يا أحبائي، **سأقضي** بينكم بدلاً من أن **يقضي** الشجار على متعتكم.

هذا النوع من الألعاب يُعتبَر من أفضل الطرق لزيادة فهم الطفل لمفردات اللغة، مما يُعتبر تمريناً ممتازاً لإيقاظ العبقرية من داخله.

* * *

هذه هي إذن «ألِفْباء» مشاركتك الفعّالة، ولن تُعدَمي النتائج إن اتبعت النصائح السابقة بدأب ومثابرة:

١- كُتُبٌ، أيضاً كتب، دائماً كتب.

٢- اقرئي بصوت عال.

٣- كوني مثابرة.

٤- الصور والكلمات هي علامات.

٥- التجربة تُغني المعاني.

٦- من الاهتمام إلى الانبهار.

٧- ألعاب الكلمات.

٨- والآن ابدئي بالإنشاد.

٩- سيل من الأسئلة.

١٠- إغناء يومي بالمفردات.

١١- كلمة واحدة ومعان متعددة.

* * *

كلما طُرح موضوع التربية قلق معظم الآباء من إتخام أبنائهم بالمعلومات. قد يكون لهذا القلق ما يبرره لو أُجبر الطفل على إتقان علم أكبر من استيعاب عقله، وهذا سيكون هو الحال عند محاولة إقحام مفاهيم فوق مستوى الطفل في عقله الصغير؛ فعندما لا يكون الطفل مستعداً بعدُ لتلقي هذه المفاهيم فإنها قد تُسبّب له بعض التشويش، وبالتالي صعوبة في التعلم (وقد أُثبت هذا بالدراسات)، فإيقاظ العبقرية يتطلب كثيراً من المهارة كما رأينا. بعبارة أخرى، عليك التأكد تماماً أن طفلك أصبح جاهزاً -بمقدار تطوّره الشخصي- لتقبُّل المعلومات التي سيتلقاها منك. كيف؟ أولاً بمراقبة الطفل بانتباه، ومعرفة ما يشدّ انتباهه، وما يحب، وأيضاً ما يستطيع فعله (يمكنك أن تجدي في أية مكتبة كتباً متعددة تحوي طرقاً تعليمية مختلفة حسب درجة نموّ الطفل).

حاولي أن تضعي نفسك مكان البستاني الماهر الذي يرعى نباتاته الفتيّة: دون استعجال لا داعي له بنموّها، ودون إتخامها بسماد

إضافي سوى عاطفته ومحبته. وعندما تصبح عملية التعليم لعبة ممتعة لن يعاني الطفل أية صعوبة في تقبّلها بحماسة وطبيعية.

ومهما يكن مستوى طفلك فإن من أكثر المبادئ أهمّيةً أن يحدد الوالدان معاً ما يناسب طفلهما أو لا يناسبه؛ فمن أوخم الأمور عاقِبةً أن يختلف الوالدان بشأن تربية ابنهما، لأن مثل هذا الخلاف يربك الطفل. في حالة اختلافك في الرأي مع شريكك فمن الأفضل مناقشة هذا الأمر في غياب الطفل.

* * *

-٦-

قصة قبل النوم وتستيقظ العبقرية

قبل دخول المدرسة يكون عبء تربية الطفل كاملاً على الوالدَين (وباقي أفراد العائلة، كالجدَّين والإخوة الكبار والأخوال والخالات والأعمام والعمّات)، وتعتمد هذه التربية في أغلب البيئات على رواية القصص.

وكما رأينا من قبل: تُشكّل القصة التي ترويها الأم لطفلها مرحلة أساسية في تطوره الثقافي وتنمّي قدرته على النقد والاستنتاج. وقد كان مألوفاً في الزمن القديم أن يجلس الأطفال حول المدفأة أو في ظل شجرة، ويستمعوا إلى الكبير يروي لهم قصة تشد انتباههم وتثير حماستهم، أما في وقتنا الحاضر فقد حلَّت الكلمة المطبوعة محلّ هذه القصص المتناقَلة أباً عن جد، لكن هذا التقليد ما زال متَّبَعاً بطريقة أخرى، لا سيما تلك الحكايات التي تُروى للأطفال قبل نومهم.

إن الإخصائيين النفسيين يعتبرون أن التطور العقلي للطفل يكون سريعاً جداً في سنواته الأولى حتى عمر السادسة، ثم يتباطأ تدريجياً منذ سن السادسة أو السابعة، مع ثبات ما سبق منه. حتى سن السادسة يسعى طفلك -بطبيعة تطوره العقلي- إلى توسيع حقل

تجاربه (بالمعنى الدقيق للكلمة)، فيكتشف وجهك بتمرير يديه الصغيرتين على عينيك وأنفك وفمك، ثم يهتم باكتشاف وجهه وجسمه (وهذا يبرّر ما نراه من انطباع الدهشة والسرور على وجه الطفل الصغير عندما يرى وجهه في المرآة لأول مرة).

كل شيء في هذا العالم يشد انتباهه؛ سواء أكان هذا الشيء ذرة غبار أم حذاءك «العملاق»... كل شيء يصبح مادة للاكتشاف. إنه العمر الذي يكون فيه الطفل رحّالة وباحثاً وسائحاً ومغامراً في الوقت نفسه. إنه يلتقط أقل شيء، فيهزّه ويديره بين يديه ويفحصه بأظافره. وقد يُسحَر مكتشفنا الصغير بورقة نبات أو بمسمار قديم أو بكَومة قُمامة أو بزقزقة العصافير أو بهدير محرك سيارة... كل شيء بالنسبة له جديد.

وهكذا نجد كثيراً من كتب الأطفال التي تهتم بانجذاب الطفل الساحر نحو الاكتشاف، مثل «أَلِيسْ في بلاد العجائب» للويس كارول أو «الغابة المسحورة» لإنيد بلايْتون، التي تأخذنا -منذ صفحة الغلاف- إلى عالم طفولي مرح وساحر. هذه الكتب (وغيرها من النوع نفسه) لها تأثير سحريّ لا يُقاوَم، وهي تملك عدة فضائل أساسية في رعاية نبتة العبقرية.

الإثارة

الحبكة الجيّدة شرط لكل قصة جيدة. بالنسبة للأطفال يجب أن يكون تسلسل الأحداث بسيطاً؛ فكثرة الشخصيات أو الحبكات الجانبية يمكن أن تشوّشهم. القصة الجيدة تنقل عادة رسالة أمل أو حبّ أو نجاح، لكن بلا خُطَب ومواعظ لا داعي لها. في المرحلة

الأولى (الأكثر فعّالية): يجب أن تَجُرّ القصة إلى أسئلة من هذا النوع: ماذا بعد؟ ماذا حدث بعد ذلك؟ أين يذهب البطل؟ ماذا سيفعل؟

كلما وضحت الحبكة كلما أصبح الطفل أكثر انجذاباً إليها، وعندما تصل إلى نقطة الذروة تسيطر القصة على كافة جوارحه وتشدّ انتباهه كله. سيطلب منك -بلا شك- أن تحكي وتعيدي حكاية القصة نفسها مئة مرة. إنه يعرف النهاية ويحفظها عن ظهر قلب ويمكنه أن يساعدك في تذكّر بعض أحداث القصة إن نسيتها أو أخطأت فيها، لكن هذا لا يُنقِص شيئاً من متعته.

وهكذا تتطور قدراته العقلية من خلال الحكايات.

عندما تشاهدين فلماً يشدّ انتباهك سريعاً بأحداثه ومشاهده، وكذلك رواية الحكايات؛ إنها تُحدث الأثر نفسه في صغيرك، مع الفارق: فالقصة تثير في نفسه القدرة على ابتكار صوره الخاصة باستعمال الخيال. والخيال المتطوّر جيداً هو أداة شديدة الأهمية للعبقري الصغير. إن الكلمات القوية والوصف الجيد يساعدان على تكوين «فِلْم داخلي» في عقل الطفل الذي يرى صوراً تتتابع أمام عينيه. على سبيل المثال: يملك الكاتب روذيارْد كيبلِنْغ (مؤلف قصة «طفل الأدغال») موهبة كتابة جُمَل غنية وموحية: "اجترار الأبقار، وصرير العجلات، وطقطقة النيران، وانكماش الشحوم..." فيرى الطفل المشهد ماثلاً أمام عينيه وتستيقظ قدراته الإبداعية لتستعرض كل الحالات الممكنة: «النار التي تقرقع» قد تجعله يتخيل مثلاً أن الوقت ليل، ولكن من الممكن أيضاً أن يتخيل غداء هادئاً تحت سماء زرقاء صافية. وهكذا يمارس طفلك نوعاً من الرياضة الذهنية،

فيضاعف قدرته على التفكير المعنوي الذي يخدمه مستقبلاً في مجالات متعددة، وفي حل مشكلات ذات طبائع مختلفة.

حوارات حَيّة

ستحتاجين هنا إلى استخدام موهبتك الشفوية، فصوت ناضج للشخصيات الكبيرة في السن، وهدير أجشّ لصوت الأسد، وأصوات متقطعة للقرد... أنت لا تضاعفين بهذا متعة صغيرك فحسب، بل تساهمين أيضاً في تطوير حساسيته لدرجات الصوت؛ فالكلمات تحمل سحراً معيَّناً حين تُنطَق بنغمات ولهجات متنوعة. ويمكنك أيضاً إضافة الحركات إلى الأصوات، فهذا يمنح التصورات الذهنية عمقاً ويعطي بعداً إضافياً للـ"فِلْم الداخلي" لطفلك.

في قصته «كيف اكتسب الفهدُ بُقَعَه» عرف رودْيارْد كيبلِنْغ كيف يزيد متعة القصة باستخدام السحر اللغوي للكلمات "حين يصل الفهد إلى غابة عالية وكبيرة، كل أغصانها مبقَّعة ومنقَّطة، ملطَّخة وملوَّثة، مظلَّلة ومسوَّدة بالظلال". نلاحظ فيما سبق أن إيقاع الجملة ساحر بحيث يجعلك ترفعين وتخفضين صوتك لاشعورياً لتلائمي الإيقاع الموسيقي الذي أنشأه الكاتب بفنّه المتكامل. سيرغب طفلك بحفظ بعض الكلمات من هذا الإيقاع ليجعلها كلماته الخاصة به، وهذه المقدرة المكتسَبة من الرنين الإيقاعي للأحرف والكلمات تساعد العبقري الصغير على تعلم القراءة.

خبرات جديدة

عندما تروين قصة لطفلك تنقلينه إلى عالم ساحر تتتابع فيه المَشاهد والخبرات الجديدة. إنه «يرى» الخِراف التي تنطّ، والغزلان

التي تقفز، والصقور التي تحلق في السماء... وعندما يبدأ العبقري الصغير بالقراءة بنفسه فإنه يصطحب كل تلك الصور والأصوات والحركات المخزونة عبر تلك الحكايات لتكتسب قراءته بعداً ثالثاً.

يستطيع طفلك توجيه اهتمامه إلى مجال محدد منذ عمر مبكر. مثلاً، قد يكون مفتوناً بالسيارات ويسرع إلى النافذة كلما سمع صوت محرك سيارة، أو قد يكون ما يثير اهتمامه البرامج المهتمة بالحيوانات، أو حتى قطط الجيران... في الأحوال كلها كوني منتبهة إلى مجال اهتمامه، واشتري له كتباً عن الموضوع الذي يهمّه واقرئيها معه. وهكذا تصيبين عصفورين بحجر واحد: تزيدين اهتمامه بالقراءة، وتشبعين فضوله في موضوع معين. ولسوف تؤتي هذه الطريقة ثمارها.

فهم الآخرين

الحكايات والأساطير أيضاً تُقدّم معرفة علمية، ولا سيما من الناحية النفسية. عندما تحكين القصة تُكسبين شخصياتها الحياةَ ليستطيع طفلك تمييز هذه الشخصيات بعضها من بعض، حتى إنه يمكنه أن يقارن نفسه بإحداها. ستصبح كل شخصية منها مألوفة لديه، ويفهم قليلاً قليلاً حوافزها ومميزاتها. إنه يراها شخصيات حقيقية مثلي ومثلك، وبفهمها يمكنه فهم نفسه. كلما ازداد عمراً، كلما ازدادت قدرته على تقدير الاختلاف بين القرد المحتال والأسد القوي، أو بين العُقاب المُستغِلّ والحمامة الوديعة... وهكذا يتعلم طفلك تقدير الاختلافات، فيكون أفقه واسعاً وفهمه لنفسه أعمق، وهذه دروس ثمينة للعبقري الصغير.

الحكايات الشعبية

الحكايات الشعبية تُمثل نوافذ مفتوحة على ثقافة أي شعب، فهي تقدّم قِيَمه ونظرته إلى العالم، وبالتركيز على هذه القصص تزيدين كنز المعرفة لدى طفلك. انقلي -ببساطة وطبيعية- هذه القصص التي تصف الناس وطريقة حياتهم التي كانت أقرب إلى الطبيعة مما هي اليوم. ولأن التنوع في النص له مميزات تربوية، فلا تترددي أن تروي قصصاً من كل أنحاء العالم.

الارتكاز على قصص حقيقية

إن أردت جعل طفلك عبقرياً عالمياً بارزاً في أحد المجالات، فأفضل طريقة لتنشيط اهتمامه هي أن تروي له قصص شخصيات حقيقية لعبت دوراً مهماً في عالمنا. اهتمّي باختيارها في كل مجالات الحياة: الدين والتاريخ والعلوم والاختراعات والاكتشافات... على سبيل المثال فإن قصصاً من عالَم «الجغرافيا» يمكن أن تنشئ مكتشفين كباراً، وقصصاً من عالَم «العلوم» تصنع مخترعين عِظاماً. وتذكّري: إن في القصص مجالاً واسعاً للأبطال، ويمكنك أن تجدي بكل بساطة كتباً للأطفال تروي سير الأنبياء والصحابة والمصلحين والعلماء.

إنها نقطة ممتازة لانطلاقة العبقري وحافز ممتاز لنجاحه في دراسته. يستطيع طفلك في مرحلة مبكرة تمييز شخصيات حكاياتك ببساطة، وبالارتكاز على الخصائص الإنسانية يمكنك تحويل الموضوع المعقَّد إلى واحد في غاية السهولة. مثلاً: كيف سيفهم طفل في الروضة قانون الجاذبية الأرضية؟ ولماذا سيهمّه الأمر؟ احكي له

قصة نيوتن الذي سقطت تفاحة على رأسه في أحد الأيام، وسوف يفهم «الجاذبية» ويحبها... وهكذا كل مراحل الاكتشاف العلمي التي يمكنها اتخاذ طابع إنساني. إن حياة الأشخاص اللامعين تُشكّل نبعاً لا ينضب للإلهام بالنسبة للأطفال، وبرواية تلك الحكايات تُدخلين طفلك في عالم العبقرية. إنها طريقة ممتازة لوضع الطفل على الطريق الصحيح الذي يمنحه الحماسة للتحليق باتجاه العلم.

إن القصص ذاتها تُشكّل نبعاً ممتازاً للتفتّح، لكن التعليقات التي تُضيفينها بعد روايتها بطريقتك المرحة تُكسبها بُعداً إضافياً. خلال هذا النقاش الذي يتشعب ليشمل مجالات عدة حاولي إلقاء الضوء على ما اكتسبه طفلك فعلاً من القصة، دون تسرّع في الجواب. يمكنك سؤاله مثلاً: ما رأيك في الفيل الصغير؟ ماذا كان اسمه؟

لا تخافي تمثيل دور الجاهل، فسيُعجب طفلك قلب الأدوار، إذ يكون هو المعلم وأنت التلميذ. والإخصائيون يصرّون على عدم توبيخ الطفل على بطئه أو خطئه أو عدم إجابته مهما كان، بل على العكس: المناسبات التي يعرف فيها أكثر منك تعطيه الحماسة للاستمرار.

يمكنك أيضاً استخدام دُماه المفضَّلة لمساعدته على التعبير. قولي له مثلاً: "دبدوب لا يفهم لماذا يريد الفيل الصغير أن يطير، فهل تستطيع أن تشرح له ذلك؟". بهذه الطريقة تشجّعين طفلك على إعادة القصة بأسلوبه الخاص. هذا الأسلوب يُطوّر الجزء التحليلي في دماغه، فبالتوجه إليك وإلى دبدوب سينشط ذاكرته وقدرته على التعبير والاستنتاج.

خذي الوقت الكافي في رواية الحكايات لطفلك؛ فهي تحرر مخزونه الواسع من الطاقة والابتكار. وهكذا تضيئين الشعلة الصغيرة التي ستُؤجّج لهيب العبقرية لديه.

* * *

-٧-

البيت المثالي

صديقتي ليكا كانت تكره المدرسة في صغرها، وهي تتذكر قائلة: كان يجب أن أُسحَب كل يوم إلى الروضة، وعندما أصل إليها أرفض دخول الفصل فأبقى خارجه وأستمر بالبكاء.

عندما أصبحت ليكا أمّاً لم تُرد أن تفرض على ابنتها معاناتها ذاتها، فالتهمت كل كتب التربية التي استطاعت العثور عليها. وهي تقول: "لقد اكتشفت حينئذ أن مشكلتي مع المدرسة كان يمكن أن لا توجد أصلاً، فالسبب في هذه المشكلة كان الانتقال الفجائي القاسي من المجتمع العائلي إلى مجتمع مجهول في سنّ مبكرة جداً". عندما وضعت ليكا يدها على المشكلة حاولَت أن تُنشئ في بيتها بيئة تُهيّئ ابنتها للمدرسة بشكل أفضل.

سألتُها: وماذا فعلت؟ فقالت: قبل كل شيء حدّثتها كثيراً عن المدرسة وعن الفصول، وصوَّرتها لها مكاناً جميلاً مُبهجاً. كنت أريها تلاميذ أكبر سناً وأقول لها: "هل تعرفين أنك أنت أيضاً ستذهبين إلى المدرسة عندما تكبرين؟ ألن يكون هذا رائعاً؟". بعد ذلك حوَّلتُ زاوية من غرفتها إلى فصل مدرسي، فرتّبتُ دماها صفاً على كراسي صغيرة وقلتُ لها إنهم التلاميذ، واشتريت لوحاً أسود

(سبّورة) ومجموعة طباشير.

وفي أحد الأيام قرأت في أحد كتبي التربوية قصة معلم كان يكتب كل صباح على اللوح: "سنقرأ قصصاً، سنلعب في ساحة المدرسة، سنأكل معاً، سننشد معاً". فنصّبت نفسي «مديرة» لمدرسة ابنتي وصرت أبدأ اليوم بغناء هذا المقطع ثم أطلب منها إعادته. بعد وقت قصير سمعتها تدندن هذا الكلام نفسه لدُماها.

قلت: وكيف هي اليوم في المدرسة؟

- مثل سمكة في الماء.

بعد بضع سنوات تذكرت طريقة ليكا. لإخراج العبقري الذي يسكن طفلك يمكنك مساعدته بتهيئة المدرسة لتكون مثل بيئته الطبيعية، وابذلي جهدك حتى يكون مثل سمكة في الماء.

يلاحظ أغلب الآباء أن الأبناء يقاومون المدرسة في البداية ثم يتقبلونها بشكل طبيعيّ بعد ذلك. ومع هذا فأنا أعرف والدِين هم أنفسهم سعداء لتخلصهم من المدرسة، فإذا كنت مهتمة بإيقاظ عبقرية طفلك والحفاظ عليها فمن المهم جداً أن تتخذي موقفاً إيجابياً من التعليم.

لي صديقة أخرى اسم ابنتها أمبيكا. منذ طفولة أمبيكا المبكرة غرست أمها في نفسها أن المدرسة مكان جميل ومسلّ. أما جارتها التي كان عندها طفلان، رام وشيام، فعبّرت عن أمومتها بشكل مختلف، فلم تحتمل أن يذهب طفلاها إلى المدرسة ويتحولا إلى «تلميذين مجدَّين». كانت تخشى أن يقضي نظام التعليم على شخصيتيهما، وفي نهاية الأمر أرسلتهما إلى المدرسة مُرغَمة.

يذهب الأطفال الثلاثة إلى المدرسة ذاتها ويسكنون الحي نفسه ويلعبون في حديقة ألعاب واحدة. أمبيكا تحب المدرسة وتحب أن تتعلم وعلاماتها دائماً متميزة، وهي متميزة في كل ما تعمله، حتى النشاطات اللامنهجية. على عكس رام وشيام اللذين يكرهان المدرسة، ويجب إجبارهما دائماً على أداء واجباتهما، ونتائجهما دائماً متدنية.

لاشعورياً نقلت أمّ الصبيَّين تصوّرَها السلبي للمدرسة إلى ولديها، وهكذا ألجمت رغبتهما في التعليم. أما أمبيكا فإن نظرة أمها الإيجابية طوّرَت عبقريتها بشكل كبير. وهكذا نرى إلى أي درجة تؤثر نظرتك على تنشيط قدرة طفلك.

يجب أن لا ننسى وجود طرق تعليمية متنافسة، على الأقل بالنسبة للصغار جداً. إن لم تكوني متأكدة من الطريقة التي تناسب طفلك تماماً فيمكنك استشارة اختصاصي. اهتمي دائماً باختيار المدرسة التي تناسب صغيرك لتستطيعي إيجاد بيئة تعليمية مناسبة لطفلك، وخذي وقتك في الاختيار والترجيح، فالاختيارات متعددة بشكل كاف (دون إهمال اختيار التعليم المنزلي).

استعلمي بعناية عن المدرسة التي تلفت انتباهك، فهذه أهم خطوة تتخذينها لمستقبل ابنك أو ابنتك. حتى لو كانت المدرسة أو طريقة التعليم ممتازة، فلا تنسي أن تفاعلك هو الذي سيحكم على ردة فعل طفلك. إن تصورك للتعليم سيسود بيئة منزلك، فالمنزل هو أول مكان تعليمي لطفلك ويحمل أهمية أساسية في نشأته.

ابدئي إذن بالعمل مع نفسك وبتعديل طريقتك في النظر إلى

الأشياء. ردّدي لنفسك أن المدرسة يمكن أن تكون مكاناً مسلياً، مكاناً حتمياً لنمو طفلك، وهو مكان مؤثر في تطورك أنت أيضاً. بالتأكيد سيكون عليك الانفصال عن طفلك كل صباح، لكنه سيعود ممتلئاً بالحماسة وراغباً في إشراكك معه فيها. لا تكوني لامبالية ولا تتوقعي مطلقاً أن محبة طفلك للمدرسة أمر بديهي... فقط بحكم العادة. هذا ممكن بالطبع لكنه ليس مؤكداً، لذلك فإنه لا يؤخَذ بعين الاعتبار.

وتأكدي أن طفلك يتلقى تعليماً يوافق المبادئ التي يتلقاها منك في البيت أياً تكن البيئة التعليمية التي اخترتها، فمن مسؤولياتك إنشاء محيط عائليّ ملائم لتفتح عبقرية طفلك. البداية تكون في البيت دائماً، فهو المكان الذي يحوي الدفء والأمن والحب، إنه قلب وجودنا. والدليل أننا لا ننسى أبداً المنزل الذي ترعرعنا فيه. وكذلك الأمر بالنسبة إلى العبقري الصغير؛ إنه المركز الذي يتعلم فيه الحياة.

لعلك تظنين أنني سأقترح عليك تحويل منزلك إلى مدرسة حقيقية، إلى مكان لا همَّ له إلا التعليم. ستقولين: يا له من أمر مُمِلّ! حسناً، أزيلي هذه الفكرة من رأسك؛ فأنا على العكس من ذلك: أعتقد بفضائل الاستمتاع والتسلية، لأنهما يحرّران الحماسة التي تثير -بدورها- الرغبة في التعلم. ويمكنك إضافة طابعك الخاص إلى هذه الاقتراحات، أضيفي مبادراتك الشخصية إلى ما تريدينه من الاقتراحات التي أعرضها عليك، وستكتشفين أن التعليم يمكن أن يصبح نشاطاً عائلياً مسلياً وجزءاً مكمّلاً لأسلوب حياتك، وفي الوقت ذاته ستطورين نموّ طفلك. فأية مكافأة يمكن أن تكون أكثر

تشجيعاً ومتعة من هذه؟

تزودي بكمية من الكتب المصوَّرة والألعاب وأقلام الرصاص والأوراق والألوان الخشبية والمائية والمعجون وأشرطة التسجيل. هذه الأدوات كلها ضرورية للعبقري الصغير لأنها تساعده على اكتشاف أشياء جديدة بطريق **التجربة والممارسة**. يجب أن يتعلم الطفل بنفسه. أعطيه أصدافاً صغيرة أو مكعبات مثقوبة (في البداية قد تكونين مضطرة إلى الانتباه لإبعادها عن فمه باستمرار): إن نَظْم هذه الأشياء في خيط أو أنبوب يطوّر التناسق بين عينه ويده. ابقي قريبة منه لكن دعيه يعمل بفطرته، وعندما يُدخل أول قطعة في الخيط عبّري له عن رضاك، فسوف يشجعه هذا على الاستمرار.

ألعاب التركيب

الشاحنة الكبيرة بحمولتها من الآجُرّ (المكعَّبات) ومن الأسطوانات ذات المقاسات المختلفة تساعد على تطور طفلك. عند محاولته ملء الشاحنة سيكتشف أن المكعبات الكبيرة تأخذ مكاناً أكبر من الصغيرة، وأنه إن وضع الكبيرة أولاً فإنها ستساعد على تثبيت الباقي، وهكذا لا تنقلب المكعبات عندما تتقدم الشاحنة. دعيه يكتشف بنفسه المبادئ الأولية للتوازن. وعندما يدفع شاحنته أمامه يُحسّن تركيزه وتناسقه العضلي.

التلوين المائي بالأصابع

التلوين بالأصابع يلوّث بالطبع، لكنه أكثر تسلية من التلوين بالريشة، وسوف يستمتع طفلك بذلك. هذا التمرين ليس ممتعاً فحسب، بل هو يساعد الطفل أيضاً على تركيز انتباهه ويمنحه

شعوراً بقدرة فائقة. إنه يلطخ أصابعه بالألوان قبل أن يتركها تنزلق على ورقة بيضاء، ومنذ أن تظهر البقعة الأولى على الورقة يتابع الطفل تلوينها بلا توقف: يساراً، يميناً، إلى الأعلى، إلى الأسفل، بشكل دائري... أيّ ابتهاج يسببه هذا العمل! إنه يرى الصفحة تمتلئ بالخطوط والبقع، وكلما زاد في التلطيخ كلما ازداد اطمئناناً. يمكنك بعد ذلك أن تقترحي عليه فرشاة وألواناً.

الرسم

شجّعي طفلك على القراءة والكتابة، خُطّي أحرفاً وأرقاماً واطلبي منه نسخها. بما أن هذا التمرين يمكن أن يصبح عملاً مملاً بعد وقت قصير فاعملي على جعله أكثر جاذبية. يطلب بعض الآباء من أبنائهم تقليد بعض الرسومات، وأنا لا أنصح بهذا الأمر لأنه يكبح قدرة الطفل على الابتكار وكذلك ثقته بنفسه (وهما العنصران الأساسيان للعبقرية). وللسبب ذاته أميل إلى رفض دفاتر التلوين المرسومة مسبقاً. إن اتباع خطوط محدّدة بهذا الشكل يُجبر الطفل على الانكباب على الورقة، وهو يغضب غالباً عندما يتجاوز اللونُ الحدودَ المرسومة. ومن الأفضل للعبقري أن يحتفظ بكامل حريته في الابتكار.

الفخار والمعجون

يمكنك أيضاً حمل طفلك على اكتشاف الفخار أو المعجون. يمكن للطفل تشكيل هذه العناصر الليّنة حسب رغبته. ومن جهة أخرى فإن من المعروف أن العديد من الأطفال يملكون طاقة مذهلة، وعملية تشكيل الفخار تساعد على تركيز هذه الطاقة في نشاط إبداعي.

كتب ومجلات

سأكرر وأعيد مجدّداً: إن القراءة أمر أساسي، فاشتري ما تستطيعينه من كتب. يجب أن تكون الكتب جزءاً من نظام البيت. ولن أتوسع في هذا الموضوع لأنني طرحته بصورة مطوَّلة في الصفحات الماضية، لكني سأضيف أن هذا هو الوقت المناسب لبدء تكوين مكتبة طفلك. شجّعيه أيضاً على مشاركة كتبه مع أطفال آخرين، وصاحبيه إلى المكتبة العامة ليختار كتباً مصوَّرة، فهذا يمتعه ويمنحه ثقة بنفسه. واشتركي له في مجلة أطفال، فحين يصل بالبريد ظرف كبير يحمل اسمه سيكون هذا كما لو كنت تقولين له: "أنت تملك شخصية مستقلة، لذلك لك الحق في امتلاك مجلتك الخاصة". وبهذه المناسبة شجّعيه على الكتابة في بريد القراء وعلى المشاركة في المسابقات، ثم على كتابة المقالات والمشاركات بعد ذلك.

أشرطة التسجيل

الكتب «المقروءة» على أشرطة تسجيل تساعد طفلك كثيراً. سيتأقلم مع قراءة جيدة بنطق صحيح، وهذه مميزات لا يمكن إهمالها. يمكنك تشغيل الشريط عندما يستلقي الطفل في سريره للنوم.

بعض الانطباعات حول استعمال التلفاز والفيديو

في بداية الأمر كان يُعتقد أن لأشرطة الفيديو والبرامج المرئية أثراً سحرياً في عملية التعليم، لكن لوحظ للأسف أنه يجب التصرف بحذر شديد عندما نسمح لأطفالنا بقضاء أوقاتهم أمام الشاشة الصغيرة أو باللعب بألعاب الفيديو؛ فقد أظهرت دراسات حديثة أن التلفاز يمكن أن يُحدث أثراً مُنوِّماً مع مرور الوقت، مما

يكبح إبداعية طفلك ويقلل فرصة تطوّره الدماغي الأقصى. وقد أشار بعض الباحثين أيضاً إلى أن الشاشات المرئية (بما فيها شاشات ألعاب الفيديو) قد تُحدث تداخلاً في النظام العصبي للطفل، حتى إنها قد تُسبب خللاً دماغياً في بعض الحالات المتطرفة. وهذا كله يدفعني إلى أن أطلب منك أن تحدّدي الساعات التي تسمحين فيها لطفلك بمشاهدة التلفاز أو الفيديو: اقصري هذا النشاط على بضع ساعات في الأسبوع.

ومهما يكن، فلا تستبدلي أبداً الفيديو أو الرائي بالكتب. إن الكتب -كما رأينا- تُشغّل «فِلْماً داخلياً» في عقل الطفل فيسرح خياله هنا وهناك يعرض له صوراً متعددة خاصة به، والأمر ليس كذلك في حالة الفلم المرئي الذي يفرض صُوَره ولا يسمح للطفل بالتطور العقلي الأمثل. وقد نعود إلى أشرطة الفيديو في بعض المناسبات كمكافأة أو مكمّل تربوي، ولكن احذري، فمشاهدة أشرطة الفيديو قد تُسبب إدماناً.

وحتى لو كنا نعيش في عصر الصورة، تبقى الكلمة المطبوعة ملكاً لا يُنازَع في عالم التطور العقلي. يمكن أن يشاهد العبقري الصغير شريطاً من وقت لآخر، لكن يجب أن تشغل الكتب المكان الأول دائماً.

إقرار ورضا

إن البيت المجهَّز جيداً بلا بيئة ملائمة يشبه سلَطة بلا تتبيل. أنت تحملين -كونك أمّاً- مسؤولية إنشاء جوّ ممتع ومثير بطريقتك المرحة للتعليم، وستصلين إلى ذلك إن أحسست بمدى الفائدة

الشخصية التي تعود عليك من تطور طفلك.

إن عبقريّك الصغير بحاجة إلى الشعور بقَبولك إياه كما هو وبتقديرك للجهود التي يبذلها. تذكّري كم كنت تشعرين في طفولتك بالإهانة إن ألقى أحد والديك نظرة لامبالية على رسم أو موضوع إنشاء كلفك الكثيرَ من الجهد والعمل، فلا تكرري هذه الغلطة مع طفلك. إن ابتسامة أو هزّة رأس أو بضع كلمات تشجيعية لا تكلفك شيئاً، لكنها تعني له الكثير وتعطيه شعوراً فورياً بالنجاح. لا ترفضي طفلك مطلقاً عندما يسألك رأيك في شيء ما، فأنت تخاطرين -لو فعلت ذلك- بإطفاء حماسته عبر الوقت، وسينتهي به الأمر إلى الشك في قدرته على النجاح وسوف تختلّ ثقته بنفسه، وقد يُخفي إنجازه في مرة قادمة بدلاً من الفخر به وعرضه على الملأ. أما التشجيع فعلى العكس من ذلك، إنه يدفع طفلك إلى العمل أكثر، وإلى المضيّ في البحث والإنجاز أبعد من ذلك.

المشاركة

تُحدث المشاركة بكل أشكالها شعوراً عميقاً بالرضا. فلتبدئي إذن بمشاركته وقتك! لا شيء يمكن أن يقوم مقام هذا التفرغ، لا أفضل الكتب، ولا أجمل الألعاب، ولا الكمبيوتر الأكثر قدرة. كل هذه الأدوات لا تساوي شيئاً إن لم يستعملها الطفل بمشاركتك.

إنك «تخبرينه» كم هو غال عليك كلما شاركته في أحد هذه النشاطات، وبمثل هذه الدعامة يُطوّر طفلك ثقة كبيرة بقدراته، فيكبر مع تقدير عميق لذاته، مما يُشكّل حجر أساس في تكوين عبقريته.

* * *

-٨-

عقليتك تطوّر خلاياه الرمادية

في إحدى المناطق المصابة بالجفاف رفع مزارعٌ وجهَه الملوَّح بالشمس نحو السماء، ونظر إلى الغيوم المتجمعة في الأفق متحيراً، ثم تمتم قائلاً: إنها زَخّة مطر عابرة بلا شك.

كان يُفضّل كبت الأمل الذي بدأ يتولد في نفسه بدلاً من انتظار الخيبة التي يمكن أن تصيبه إن كان هذا المطر مجرد رذاذ خفيف.

وعلى بعد كيل (كيلومتر) من هذا المكان كان مزارعٌ آخر يتابع بانتباه تشكّل الغيوم. لقد استفاد من تطور تقني جديد اسمه «زرع السُّحُب»، وهي طريقة اكتشفها علماء البيئة لإسقاط الأمطار، فاستعان ببعض الاختصاصيين وطلب منهم زرع غيوم في سمائه، وكان يعرف أن مبادرته ستُثمر مطراً غزيراً.

لو طُلب منك الاختيار، فأي المزارعَين تفضلين؟ أنا شخصياً أُفضل الثاني؛ فنظرته المتفائلة وردّة فعله المُفكّرة تحقق أفضل النتائج: أمطاراً غزيرة. إنه يعرف أن محصول هذه السنة سيكون جيداً، ويعرف أيضاً أن الموسم القادم يمكنه الاستفادة من التقنية الجديدة. إنه لم يضع رأسه بين كفيه ويجلس بانتظار «زخّة المطر العابرة».

أنا متأكدة أنك بنفس الطريقة لا ترغبين بأن يكون إظهار عبقرية طفلك لمحة عابرة دون مستقبل. بمعنى آخر: يمكنك الاستفادة من كل بادرة صغيرة. أنت تتمنين نمواً مطّرداً حيث يبشر التفتح المبكر بولادة شجرة ذات جذور عميقة. إذا كانت هذه هي حالتك فيتوجب عليك تبَنّي موقف المزارع الثاني: لا تكتفي بزراعة الغيوم مرة واحدة، وإنما فكري في المستقبل. كوني مقتنعة دوماً بأن المحصول سيكون جيداً، وتعلمي رؤية النواحي الإيجابية في كل الأمور (وصدقيني ستكون دائماً موجودة). كثيرون يسمون هذا المنهج «انتصار الروح».

بما أن القضية المطروحة هي دماغ عبقريّك الصغير فسأتحدث عن تأثير «عقليتك» غير المحدود في «خلاياه الرمادية». إنك تستطيعين بقوة هذه النظرة الإيجابية أن تلعبي دائماً دوراً أكثر فعالية في تربية طفلك. في الفصل السابق بيّنتُ لك البيئة العائلية الملائمة لتفتح العبقري، وكانت تلك هي الأسس، والآن حان وقت الانتقال إلى التالي، مرحلة بعد مرحلة.

لم يبلغ طفلك سن المدرسة بعد، لكنه يمضي بخطوات عملاقة. إنه حالياً بحاجة ماسة إلى مساعدتك للتسلق إلى الأعلى دائماً، ومنذ دخوله المدرسة يختلف الوضع، ويتوجب عليك اتخاذ وضعية أكثر ملاءمة له لتتطوري معه درجة درجة.

في عصرنا الحديث الاحتمال كبير في أن يعمل الوالدان خارج المنزل، وأخذاً بهذا الاعتبار، وبعد كثير من البحث والخبرات، وضعتُ بضع قواعد بسيطة لتشجيع القدرات العقلية لطفلك.

النوم المبكر

يحتاج العبقري الصغير بكل تأكيد إلى ثماني ساعات من النوم على الأقل في كل ليلة، لكي يكون عقله متفتحاً ويقظاً خلال النهار. أعرف عائلة كانت تحب الضيوف كثيراً. كان طفلاها يعيشان دائماً في عيد، لكن نتيجة هذه السهرات المطوَّلة كانت أن يضطر الوالدان إلى جرّ طفليهما بصعوبة من السرير كل صباح. كانا يلتهمان فطورهما بسرعة البرق ثم يجريان لينجحا باللحاق بالحافلة المدرسية، حتى إنهما كانا يضطران إلى الغياب عن المدرسة في كثير من الأحيان. لن تستطيعي السماح لنفسك بمثل هذا التفريط مع طفلك؛ فالعبقري يحتاج إلى ذهن متفتح وصاف.

الاستيقاظ مبكراً

عندما ننام مبكرين نستيقظ مبكرين بطبيعة الحال. هناك شيء سحريّ في ساعات الصباح الأولى، صفاء يُنعش الروح، ويقول كثير من الكتّاب إنهم كتبوا أفضل ما عندهم في هدوء الصباح المبكر. إنها عادة ممتازة نزرعها في عبقريّنا الصغير.

فطور جيد

الفطور العائلي عادة رائعة، حيث يكون الجميع في مزاج رائق ويستعد لبدء يومه بتفاؤل، فخذوا الوقت الكافي لتناول فطوركم دون استعجال. وهذا هو أيضاً الوقت المناسب لتصفح جرائد الصباح، وبينما يمضغ أطفالك شطائرهم يمكنك أن تجعليهم أيضاً «يهضمون» بعض الأخبار الجديدة. اقرئي بعض المقالات القصيرة بصوت عال (من الأفضل اجتناب المآسي والكوارث) وناقشيها معهم

بكلمات مناسبة لأعمارهم. إن هذا يصنع أساساً ممتازاً لأبناء عصر المعلومات، وسوف تُدهشك رَدّات أفعالهم.

المساعدة في الواجبات المدرسية

العمل دون متعة يجلب الملل. أتيحي لطفلك أن يلعب مع أطفال الجيران، فهي فرصة ممتازة لتنمية الناحية الاجتماعية من شخصيته وتنمية روح الفريق في نفسه. عندما يعود من المدرسة كرّسي خمس عشرة دقيقة أو عشرين لمساعدته في أداء واجباته، لكن لا تؤديها أبداً بدلاً منه. أذكر برنامجاً تلفازياً ساخراً كان الآباء فيه يبذلون الجهد الجهيد أمام واجبات أبنائهم بينما يلعب هؤلاء الأبناء بالكرة! وعندما ينال الطفل نتيجته المدرسية بعد ذلك لا يأبه لها إلا كما يصنع مع زوجين من الجوارب ينالهما للمرة الأولى، ثم ينطلق لينضم إلى رفاقه في ملعب الكرة. في أثناء ذلك يتفحص الوالدان هذه النتيجة بكل دقة وترتسم على وجهيهما ابتسامة عريضة، ثم تُثبَّت الصورة بعد ذلك على الوالدين الذين يتصافحان ويهنّئ أحدهما الآخر.

هذا النمط من الإرضاء الذاتي للأبوين ضار جداً للعبقري الصغير؛ إذا كنت تريدين أن يحلّق طفلك بجناحيه فاجعليه يحقق العمل بمفرده.

محادثة حول المائدة

يدَّعي مَثَل قديم أن العائلة التي يتناول أفرادُها طعامَهم معاً تبقى متلاحمة، وأنا أضيف إلى ذلك ما يلي: العائلة التي يأكل أفرادها معاً يتعلم أفرادها ويكبرون معاً.

إن المائدة هي المكان الأكثر ملاءمة لتبادل الحديث. إنه الوقت الذي يستطيع فيه أطفالك إطْلاعك على إنجازاتهم اليومية التي قاموا بها في الفصل أو في الساحة المدرسية، فاستمعي لهم بانتباه وصفّقي لنجاحاتهم، وإذا اعترف أحدهم بإخفاق أو خطأ فقولي له بلطف إن الإنسان يخطئ دائماً.

بالتأكيد يجب أن لا يوضَع الهدف عالياً جداً بحيث تبدو أية غلطة وكأنها كارثة، بل على العكس من ذلك، احكي لطفلك نماذج من أخطائك الماضية واضحكي منها، وهكذا تعلّمينه كيف يسخر من نفسه. حاولي الاستفادة من أخطائه بتعليمه القدرة على الضحك من نفسه؛ وهذا أمر ضروريّ جداً للعبقري، فهو يخاطر بأن يأخذ نفسه بجدية كبيرة ما لم يستطع اكتساب هذه الخصلة في عمر مبكر.

أعرف طفلة تدعى ساندرا، كانت دائماً الأولى في المدرسة وكان فخر والديها بها كبيراً، لكن التربية الرياضية كانت لها قصة أخرى. في أحد الأيام أرادت ساندرا الاشتراك في سباق في القفز على الحبل، وكان والدا ساندرا يرغبان في رؤيتها تفوز فبذلت جهدها كله. لكنها لم تلعب وتقفز وفق قواعد اللعبة، وما كان يجب أن يحصل حصل: لم تفز ساندرا، فأخذت تبكي أياماً. كان يجب أن يُظهر والداها مقداراً كبيراً من الصبر ليقنعاها بأنهما ما زالا يحبانها. لقد خرجت ساندرا من هذه التجربة محطمة؛ كانت تجربة رهيبة لها ودرساً قاسياً لوالديها. اعملي على أن لا يصل طفلك إلى هذا النوع من المغامرات الفاشلة، وتذكري أن الناس كلهم، حتى العباقرة منهم، يملكون نقاط ضعف ويقترفون أخطاء.

متع صغيرة بعد الظهر

عندما تنتهين من ترتيب مائدة الغداء يمكنك اللعب مع أطفالك بأوراق اللعب أو بالألعاب الجماعية (كلعبة الحروف والكلمات التي تسمّى «سكرابل»)، ويمكن أيضاً القيام بأي نشاط جماعيّ يشجع نموهم العقلي. وحبذا لو تعلّمين أطفالك اللعب بالشطرنج أو بأية لعبة أخرى تعلّم التحليل والتفكير والمبادرة.

نوم العبقري

يجب أن يكون نوم الطفل في مكان هادئ. يمكنك أن تقرئي له بصوتك قصة من كتاب أو اخترعي حكايتك الخاصة. إنه وقت الملاعبة والملاطفة، وهو أيضاً الوقت المثالي لتطمئني -دون استعجال للأشياء- إلى أن طفلك قد امتص جيداً المعارف التي كنت تحاولين تعليمه إياها. أكرر مرة أخرى: أهم شيء هو أن تجعليه ينام في ساعة مبكرة لأن الدماغ يعيد شحن طاقته في أثناء النوم. ربما كان طفلك خارق الذكاء، لكنه ليس أقل خضوعاً لقواعد الطبيعة.

* * *

حتى الآن عكفت على توضيح الأساليب التي تسمح بدمج عملية التعليم في حياتك اليومية، والآن أحب أن أركز على بعض العناصر القابلة لإطلاق المحركات التي تكوّن دماغ العبقري الصغير.

عالم العمل العجيب

منذ أن يبدأ طفلك بالعودة إلى البيت بواجبات مدرسية سيكون بحاجة إلى مكان هادئ يمكنه أن ينجزها فيه بلا إزعاج. إذا كان

بيتك كبيراً فيمكنك أن تخصصي غرفة للمكتبة يكون له فيها مكتبه الخاص، أما إن كان بيتك صغيراً فحوّلي ركناً من غرفته إلى «بلد العجائب». اشتري له مكتباً وكرسيّاً، أو بكل بساطة طاولة صغيرة بدرج، لكنها خاصة له. اهتمي بأن تكون زاويته مضاءة جيداً، وأضيفي لمساتك الشخصية، مثل لوحة من الفلين يمكنه أن يعلق عليها رسوماً أو صوراً أو كتابات أو كل ما يخطر على باله. انصحيه بأن لا يدرس في السرير أو أمام التلفاز، لأنه لن يستطيع التركيز على دروسه بشكل جيد في مثل هذه الحالة.

المؤلفات التي يحسن أن تكون بين يديك

يمكنك شراء معجم وموسوعة لطفلك منذ عمر مبكر جداً. إنهما مصدر ممتاز للمعلومات، وبوجودهما دائماً تحت اليد يتشجع الطفل للقراءة والبحث بنفسه. سيكون فخوراً لامتلاكه مكتبته الخاصة، ولن تجدي أية صعوبة في العثور على كتب ممتازة مزودة بوثائق جيدة.

المعجم: اعملي يومياً على إثراء مفردات طفلك بتعليمه ألفاظاً جديدة. إذا لفظ أو كتب إحدى هذه الألفاظ بشكل خاطئ فلا تصححيها له، بل اطلبي منه -بكل بساطة- أن يتحقق منها في المعجم. بمثل هذا الأسلوب يطوّر طفلك ثقة كبيرة بقدراته، وسوف يكبر مع تقدير عميق لذاته مما يشكل حجر أساس في تكوين عبقريته.

الموسوعة: إنها ضرورية لتقديم معلومات موثَّقة ومرجعية في العلوم والجغرافيا والتاريخ والآداب. على سبيل المثال: عندما يظهر خبر عن أحد البلاد في الجريدة اليومية أو في الأخبار المرئية شجّعي

طفلك على البحث عن معلومات عن هذا البلد في موسوعته، وهكذا يفهم بشكل أفضل ما سمعه عن الموضوع. إنه يستطيع أيضاً تكوين موسوعته الخاصة بقَصّ المقالات المهمة من الصحف وإلصاقها في دفتر كبير مرَتَّبةً حسب موضوعاتها، ويمكن أن يسميها على سبيل المثال: «موسوعة الأخبار».

الأطلس: تسمح الخرائط بتحديد مواقع البلدان المذكورة في الأخبار على الفور، لكن يمكن أن يكون للأطلس استعمال آخر. مثلاً: إن خططتم للذهاب في رحلة فاطلبي من طفلك العثور على الطريق الأقصر للوصول إلى موقع الرحلة، وإذا كنتم ستذهبون بالسيارة فاعهدي إليه بتوجيهكم، أما إذا كنتم ستسافرون بالقطار أو بالطائرة فدعيه يُمتحن معك حول أفضل خط سير للرحلة.

يمكنك أيضاً أن تُحضري له كتباً أخرى، لكن المؤلفات السابقة هي المراجع التي يجب وجودها في مكتبة العبقري الصغير. علّميه في البداية كيف يستعملها، وأثبتي له أهميتها برجوعك إليها بنفسك عندما تشكّين في شيء ما، لكن لا تبحثي بدلاً منه.

التلفاز والراديو

يمكن أن تكون وسائل الإعلام مصدراً جيداً للمعلومات لطفلك لو شجعته على متابعة البرامج التربوية والتعليمية: ألعاب الحروف والأرقام، البرامج الوثائقية المهمة، البرامج التي تتحدث عن الحيوانات والطبيعة... كل هذا بجرعات مخففة. لكن في كل الأحوال لا تجعلي هذه الوسائل تتعدى على ساعات عمله أو تسليته. كوني مرشدة جيدة لتختاري بعناية البرامج التي تفيده، وهيّئيه لمشاهدتها. فمثلاً إذا كان البرنامج عن الحيتان فيمكن أن تُمهدي

له بقراءة كتاب عن الثدييّات المائية أو بزيارة لحديقة الأحياء المائية أو برسوم حيتان. تابعي الحلقة مع طفلك، ثم شجعيه على زيادة معلوماته بالقراءة. تستطيعين أيضاً إجراء محادثة بعد تحقيق معين: اطلبي من طفلك مثلاً رأيه في مقدم البرنامج إن كان متحيزاً أو دقيقاً في عرض معلوماته.

الكتابة

سبق أن زوّدت طفلك بأوراق وأقلام رصاص، والآن علّميه فن الكتابة والتخطيط؛ فالناس الذين يكتبون جيداً يعبّرون بوضوح. إنهم جديرون بتنظيم وتفصيل أفكارهم جيداً، وينشئون تصورات جديدة من خلال أقلامهم. إن تعلم الكتابة فن، ومثل كل الفنون فإنه يتطلب كثيراً من الممارسة والصبر، وهو أيضاً أساس التواصل الجيد الذي يُعتبَر من الأسس الضرورية للعبقري.

قبل ختام هذا الفصل أعتقد أنه من الضروري أن أشير إلى المظهر الأكثر أهمية: كوني دائماً قدوة حسنة لطفلك، وتذكري أن عالمه يُشكّل في معظمه مرآة لعالمك. عندما تلعب الطفلة بدميتها، أو عندما تلعب لعبة المستشفى، فهي لا تعمل شيئاً إلا إعادة تمثيل ما رأته أو سمعته. ابذلي جهدك لتُظهري في كل الظروف الصبر والفضول وحب المعرفة. اجعلي طفلك يراك حين تقرئين أو تكتبين، وأجبري نفسك على توسيع مفرداتك الخاصة، واستعملي تراكيب صحيحة. استعملي خيالك وعبقريتك الشخصية، ولا تنسي أنك الملهمة الأولى لـ«خلايا طفلك الرمادية».

* * *

-٩-

العبقري في بلاد الألعاب

كل ما فيها كان ينم عن تربية جيدة، وكان مظهرها أنيقاً ولم تشرد أية خصلة صغيرة من تسريحة شعرها المرتبة. كنت أراقبها حين قالت لي: ألا تدخلين لنتناول معاً كوباً من الشاي؟

بعد شرب الشاي وتبادل كلمات المجاملة عرضت عليَّ أن تريني منزلها. كان البيت رائعاً؛ كل ما فيه كان لامعاً، حتى أصغر تحفة فيه. ثم دخلنا إلى غرفة طفلها، فدُهِشَت حين اكتشفت غرفة في غاية الترتيب. ثم قالت لي بفخر: وهذه لُعَبه.

كنت أتأمل غرفة الكنز حين أكملت قائلة: "لقد علمته كيف يعتني بها جيداً". لم يكن هذا التوضيح لازماً، فقد بدا جلياً أنه لا يملك أي لعبة مكسورة أو مخدوشة. بدت ألعابه كلها جديدة، حتى إني تخيلتها معروضة في متجر للألعاب، فسألتها قائلة: "ألا يلعب بها؟". أجابتني بصوت ينم عن عدم التقدير: "بلى، بالطبع، لكنه مرتب جداً ويعرف أنني لا أحتمل الفوضى".

عندما رأيت الرضا الظاهر على وجهها شعرتُ فجأة بحزن عميق، وكدت أبكي وأنا أفكر بهذا الصغير الذي يستطيع بالكاد لمس

ألعابه، مراقَباً دون توقف من أمه المتسلطة. اعتذرت سريعاً وهربت من هذا الجوّ المرهق، ثم أمضيت السهرة مكتئبة لتفكيري بكل هذه السعادة التي حُرمها هذا الصبي. لقد تركَت تلك الزيارة في نفسي أثراً كبيراً بحيث قررت -حين شرعت في تأليف هذا الكتاب- أن أخصص فصلاً كاملاً للألعاب. واليوم، كلما دخلت بيتاً ورأيت لعبة مكسورة مرمية على الأرض تنفست الصُّعَداء[١].

لقد أيقنت دائماً بأهمية الألعاب. كل الآباء يشترونها لأبنائهم، لكن القليل منهم ينتبهون لفائدتها: فالألعاب تُطور المميزات الأساسية للعبقري.

مميزات أساسية

جسمية: هل تلعب ابنتك لعبة «الأم» حين تهزّ مهد دميتها؟ هل تتسلى عندما تنط الحبل أو تركب الحصان أو تلعب بالدراجة؟ من المؤكد أن جواب هذين السؤالين هو «نعم»، لكن بالإضافة إلى ذلك هي تتعلم المشي والركض والتسلق والنط؛ إنها تُطور موهبتها الجسمية وقدرتها على التناسق.

حركية: عندما ينحني طفلك فوق اللعبة التركيبية، أو يرسم على دفتره بالألوان، أو يتسلى بتركيب وتفكيك لعبة يعاد تركيبها، أو يصنع بيتاً من المكعبات، أو يصنع أشياء من المعجون... عبر كل هذه النشاطات يُطوّر طفلك قدرته الحركية ومهارته اليدوية، ولا سيما التناسق بين يديه وعينيه.

---

(١) لا يعني هذا عدمَ الاهتمام بالألعاب أو إهمالَها، إنما الاستمتاع بها، مع الاعتناء بها بالطبع (المترجمة).

تركيز بصري: عندما ترمي طفلتك كرتها المطاطية، أو ترمي الكرة الصغيرة أو الريشة بالمضرب، أو ترمي حلقتها في الوتد، أو توجه طائرتها الورقية، أو تحرك قطاراً كهربائياً؛ فإنها تدرب بكل هذه النشاطات تركيزها البصري، إذ تتابع شيئاً ما بنظرها لإنشاء علاقة معه.

تركيز بصري وذاكرة: عندما يلعب طفلك بالشطرنج أو يرسم أو يختار الأشكال المختلفة ليدخلها في الفتحات المناسبة لها، فهو يطوّر في الوقت نفسه تركيزه البصري وذاكرته اللذين يعتبران ضروريين للفهم وللتفكير المعنوي المجرد (وهما مميزتان أساسيتان للعبقري).

مميزات مخصصة: عندما تهز طفلتك كيس المخمل الأسود، وتدس يدها داخله لتُخرج منه قطع البلاستك المربعة التي تحمل كل منها حرفاً أبجدياً ثم تُشكل كلمة وتُرتب الأحرف في مكانها في لعبة «سكرابل»، وعندما تسحب بطاقة في لعبة «مونوبولي» وتعد النقود وتشتري بيتاً أو فندقاً... عندما تصنع أياً من ذلك فإنها تمارس ألعاباً مخصصة لمساعدتها في تنمية مهارات محددة، مثل تكوين الكلمات أو تنظيم النقود.

العبقري المبدع: لم نتكلم حتى الآن إلا عن الألعاب التي يمكن شراؤها من المتجر، لكن العبقري الصغير يحتاج إلى فرصة إضافية لاكتشاف جميع مواهبه. شجعي طفلك على تحضير ألعابه الخاصة. إنه يستطيع -مثلاً- استخدام الورق المقوَّى القديم، أو علب بلاستيكية صغيرة، أو علب البيض، أو بكرات الخيطان، أو

مشابك الغسيل، أو الحبال ومواد اللصق... يستطيع استخدام هذه الأشياء لصناعة سيارات وإشارات مرور وشوارع، إلخ. ويمكن أن تعيش هذه السيارات مغامرات عديدة: تقفز من فوق جسر (مسطرة توضع فوق علبتَي أحذية مثلاً) أو تقع في المحيط (وعاء مليء بالماء)...

ربما تتساءلين: لماذا يتوجب على طفلك إضاعة وقته في مثل هذا التمرين الملوّث، في حين تستطيعين أن تشتري له ألعاباً مسبقة الصنع؟ الفرق هو أنك حين تسمحين لطفلك بصناعة ألعابه فإنك توقظين عبقريته الإبداعية، وهكذا يتوقف عن كونه مراقباً سلبياً ليصبح مبدعاً. حين يملك المواد بين يديه ويملك حرية الاختيار فإنه يتعلم استعمال خياله واختراع قواعد جديدة لكل وضعية.

العبقري في المجتمع

إن كان طفلك يلعب أو يصنع ألعابه بصحبة صديق فإنه ينال مميزات إضافية: إنه يتعلم المشاركة وأخذ القرار الجماعي. إنه يشارك صديقه في معلوماته، فيتحدثان معاً بشكل علمي ويتبادلان الخبرات، ويتعلم في الوقت نفسه العيش بذكاء مع الأطفال الآخرين، وهكذا يطوّر ما نسميه «تقنية العلاقات الاجتماعية». هذا التنظيم الإبداعي بين الإنسان والآلة حيويّ للعبقري الصغير.

اتخاذ القرار

عندما يتناول الطفل لعبة -أياً كانت- فإنه يتوجب عليه اتخاذ قرارات. في البداية يريد أن يعرف كيف تعمل، وبعد أن يفهم كيفية عملها يريد أن يجد لها استخداماً. يمكنه تنويع طريقة لعبه بها، يمكن

أن تصبح الدمية بين يدَي طفلة صغيراً رضيعاً، لكنها يمكن أن تصبح أيضاً مريضاً إن كانت تلعب لعبة الطبيب، أو ربما سائقة سيارة لو كانت تلعب سباق السيارات... بهذا الارتجال وبتنويع الأدوار تعتاد اتخاذ القرارات، إنها خبرة ثمينة للعبقري.

مرافَقة في اللعب

لمساعدة طفلك على الاستفادة الفُضلى من ألعابه يلزمك أن تكوني أنت نفسك طفلة. إن الوالدين اللذين يستطيعان أن يضعا نفسيهما في مستوى طفلهما يتواصلان بشكل أفضل مع أبنائهما، وهما يساعدان على تطوير مهارات العبقري الصغير بشكل أفضل.

كوني فعّالة: بالمشاركة الفعّالة في اللعب تشجعين إبداعية طفلك، وتستطيعين إدخال تصورات جديدة لتركه يحلّق بنفسه بعد ذلك. سينال بذلك ثقة كبيرة بقدراته مما يدفعه لتخطي التحديات.

كوني شريكة حقيقية: كونك والدة فأنت تملكين النضج والوضوح الضروريين لمعرفة الأفضل لطفلك. لا تنسي رغبتك في تقديم الأفضل. بالتعرف إلى احتياجاته ورغباته ومهاراته تستطيعين إيجاد التنويع المناسب من الألعاب: نشاطات جسمية مثل التمارين الرياضية والسباقات؛ أو تمارين لغوية مثل رواية القصص والطرائف والأحاجي؛ أو ألعاب حركية كلعبة «الغُمَّيضة».

كوني قدوة: منك يستقي الطفل كيفية التصرف، فأنت قدوته، وحتى الألعاب الأكثر تطوراً على الأرض قد تكون عديمة الفائدة وضارة بمواهب العبقري إذا أعطى الوالدان مثالاً لعدم النضج.

كوني عطوفة: لا يجب أن يشك الطفل مطلقاً في حبك له،

فهو حين يشعر بأنه محاط بحبك يحس بالقدرة على التطور نحو استقلال أكبر.

لقد قادت دراسات بشأن العلاقة بين الوالد والطفل في أثناء اللعب إلى اكتشافات مهمة؛ إن الأطفال الذين يمتلكون كثيراً من الألعاب (ويستخدمونها بالطبع) يصبحون غالباً أكثر إبداعاً من الآخرين في مستقبل حياتهم، ومن جهة أخرى فإن الأطفال الذين يلعبون بانتظام مع آبائهم يملكون فرصة أكبر لنيل أعلى مستويات الإبداع.

اختيار الوقت المناسب

قد تتساءلين عن كيفية معرفة إن كانت اللعبة التي تمارسينها مع طفلك ملائمة لمستوى تطوره. ألا يمكن أن تأخذك الحماسة فتفرضي على طفلك ألعاباً لا تناسب نموه؟ كيف تعرفين أين تخطّين الحدود؟

التمرين التالي، ذو المراحل الخمسة، يساعدك على الإجابة عن هذه الأسئلة:

١- راقبي: كوني منتبهة جداً لمهارة طفلك أو عدمها في أثناء اللعب. من جهة أخرى، اهتمي بمعرفة درجة اهتمامه باللعبة التي تعرضينها عليه، ثم اسألي نفسك بعد ذلك: هل أنا في المكان المناسب؟ هل أسير في الطريق الصحيح؟

٢- العبي معه: ضعي نفسك في مستوى الطفل. إن أصبحت اللعبة معقدة جداً بالنسبة له فسوف ينزعج.

٣- العبي بتدرج (للأعلى) قليلاً قليلاً: هيئي طفلك بالتدريج لألعاب أكثر تعقيداً. مثلاً، عندما يتعلم اللعب بالداما علميه الشطرنج (لكن هذا لا يمنع من الاستمرار في لعب الداما حين يرغب بذلك).

٤- تراجعي: ابتعدي قليلاً وراقبي من جديد. عندما تعطين تصوراً جديداً، وتوقظين بذلك اهتمام طفلك، تراجعي. دعيه يتدرب ويتعلم بنفسه، لا تكوني دائماً بجانبه لتراقبي من خلف كتفيه.

٥- ادخلي في اللعبة من جديد: عندما يتقن تصوراً جديداً يمكنك التدخل ثانية.

المراحل الخمس المفصَّلة سابقاً ليست سوى اقتراحات تسمح لك بأن تراقبي بشكل أفضل نمط التطور الطبيعي لطفلك. مع ذلك انتبهي إلى عدم فقدان حس المتعة والعفوية باتباع هذه القواعد حرفيّاً، بل اعتبريها مجرد أدوات مساعدة لتحديد احتياجات طفلك بشكل أفضل. استمتعي معه وراقبي العبقري يتطور بفضل نصائحك الحنونة.

بحث عن التوازن

من الطبيعي أن معظم الآباء يملكون ميزانية محدودة ولا يمكنهم الحصول على كل ألعاب المتجر، حتى لو أرادوا ذلك. عندما تختارين لعبة تأكدي أن طفلك يمكنه أن ينال منها أقصى متعة وأقصى فائدة تربوية. التنوع مهمّ جداً، لذلك عليك الحرص على احترام قَدْر من التوازن في النشاطات لرعاية نموّ متوازن. الأصناف الواسعة المبيَّنة فيما يلي تساعدك على مراعاة هذا التوازن عند

دخولك إلى متجر الألعاب.

ألعاب جسمية:

تسمح للطفل بتقوية عضلاته وتناسق حركاته، كما أن النشاطات الجسمية التي تتطلب دقة في الحركات تطور الدماغ أيضاً. مثلاً: الكرة، الدراجة الثلاثية العجلات أو الثنائية، كرة المضرب...

الألعاب الإنشائية:

توقظ إبداعية طفلك. هذه الألعاب تساعده على فهم «كيف يعمل هذا؟»، وتنمي مواهبه في المراقبة، وتساعده على تكوين تصورات جديدة، كما أنها وسائل رائعة للتعبير الشخصي. مثلاً: المكعبات، قطع «الليغو»، أدوات الرسم والتلوين، المعجون، الألعاب العلمية، المجسَّمات، الصور المقطَّعة (البَزِل)...

الألعاب الاجتماعية أو ألعاب الفريق:

تنمي القدرات الاجتماعية لطفلك. بمشاركة رفاقه الصغار يتعلم المنافسة واللعب الشريف وعمل الفريق، ويطور قدرته على التركيز وعلى ردود الفعل السريعة الملائمة للظروف. مثلاً: لعبة الداما، الشطرنج، ألعاب الرقعة، رياضات الفريق...

قد تتساءلين: لماذا لم أُشِر إلى ألعاب الفيديو حتى الآن؟ في فصل سابق تكلمت عن شاشة التلفاز وأخطارها، وسأضيف هنا فقط أن دراسات هامّة عُملت عن تأثيرات ألعاب الفيديو على الأطفال، ولم تكن الاكتشافات الأوّلية مشجعة، فقد أثبتت عدة أبحاث علاقة بين الممارسة المتواصلة لهذه الألعاب وبين صعوبات التكيف في المدرسة وفي الحياة الحقيقية. ومن جهة أخرى فإن أغلب ألعاب

الفيديو ليست جسمية ولا إبداعية ولا إنشائية ولا اجتماعية، أي أنها -باختصار- لا تسهم في إظهار عبقرية طفلك، بل إنها على عكس ذلك، تميل إلى كبح خياله، أما الألعاب التقليدية فإنها توقظ موهبته الإبداعية العظيمة.

بتطوير قدراته الجسمية والعقلية بطريقة متوازنة تقدمين لطفلك هدية لا تُقدر بثمن، موهبة إبداعية.

* * *

-١٠-

ثلاث درجات نحو العبقرية

أحب أن تتوقفي الآن قليلاً لتفهمي موقفك تجاه طفلك. اسألي نفسك الأسئلة التالية وأجيبي بـ «نعم» أو «لا».

١- إذا حاول طفلك ذو السنتين فتح علبة كعك فإنك تعنفينه وتسحبين منه العلبة.

نعم ______ لا ______

٢- إذا رأيت طفلك يلعب في مستنقع من الطين فإنك تطلقين صيحة رعب، ثم تنظفينه وتضعينه في سريره محاطاً بألعابه النظيفة.

نعم ______ لا ______

٣- بينما كنت مشغولة بالطبخ استولى طفلك على زجاجة حليب فارغة، وعندما سمعت الصوت أسرعت نحوه، وحين وصلت كان طفلك يحاول التقاط زجاجة ثانية من الرف. تصرخين قائلة: «لا»، وتحملينه بمحبة لتضعيه أمام التلفاز.

نعم ______ لا ______

٤- يشاهد طفلك بهدوء فلماً من أفلام الرسوم المتحركة أو

بعض الإعلانات، تلقين عليه نظرة من وقت لآخر مفكرة: يا له من ملاك صغير!

نعم ______ لا ______

٥- لو قاوم وحاول النزول من الأريكة ليغير القناة أو يغادر الغرفة فإنك تتنهّدين بسأم وتعيدينه إلى مكانه.

نعم ______ لا ______

٦- حصلت طفلتك الفضولية على أحمر الشفاه الذي يخصك. أثار استغرابك أن لا تسمعي صوتها لبعض الوقت، فألقيت نظرة على غرفتها، وعندما اكتشفتِها ملطَّخة بالأحمر نظرت مرعوبة ثم نظفتها جيداً بالماء والصابون.

نعم ______ لا ______

٧- أراك طفلك ذو السنوات العشر رسماً أنجزه، فلم تشاهدي فيه سوى خليط من الألوان المخططة بشكل متعرج. ألقيت نظرة متسرعة وتمتمت: "جميل"، ثم تابعت قراءتك.

نعم ______ لا ______

٨- أو نظرت إلى الرسم متأملة، وسألت طفلك: "ما هذا؟" فإن أجاب مثلاً: "كلب" أجبت بابتسامة على شفتيك: "إنه لا يشبه الكلب كثيراً".

نعم ______ لا ______

٩- في أحد الأيام أنبأك طفلك الصغير بأنه يرغب في أن يصبح طبّاخاً، فأصبت بالرعب قائلة: الطبخ؟ إنه أنثويّ جداً!

نعم ______ لا ______

١٠- فاجأت طفلتك ذات السنوات السبع وهي تلعب ببندقية أخيها الكبير، فأخذت اللعبة من بين يديها قائلة: هذا ليس للفتيات الصغيرات.

نعم ـــــــ لا ـــــــ

والآن احسبي نتيجتك. احسبي عدد المرات التي أجبت فيها بـ«نعم» وعدد المرات التي أجبت فيها بـ«لا»، ثم قيّمي نفسك كالتالي:

١٠ مرات «لا»: ممتاز؛ أنت أمّ مثالية لعبقريّ صغير، فلا تغيري شيئاً.

أكثر من ٧ مرات «لا» وأقل من ٣ مرات «نعم»: ما زلت تملكين فرصة جيدة لإيقاظ العبقري في طفلك، وفي كل الأحوال عليك الاهتمام بتعديل بعض تصرفاتك.

أقل من ٦ مرات «لا» وأكثر من ٤ مرات «نعم»: عليك تعديل موقفك بشكل عام، وإلا فأنت تخاطرين بخنق قدرات طفلك.

لقد لاحظت -بلا شك- أنني اخترت أمثلة بسيطة واخترتها من الحياة اليومية. من المؤكد أن ردود فعلك حيال هذا النوع من الأوضاع قد تكون متفاوتة، لكن لنختبر الأسئلة على مجموعات ولنجتهد في رؤيتها بشكل أوضح. لو أجبت بلا تردد بـ«لا» على الأسئلة العشرة فيمكنك تجاوز الفقرات التالية، أما إن كان الأمر على العكس من ذلك (إن أجبت بـ«نعم» عن واحد منها على الأقل) فربما كان من الأفضل البحث لفهم نتيجة تصرفاتك.

نعم للأسئلة من ١ إلي ٥: أنت كثيرة الأشغال بلا شك ولا تحبين أن يزعجك أحد، وهكذا تجدين طرقاً سهلة لشغل طفلك حتى لا يبقى بين قدميك. حلّ مشكلتك يكمن بشكل أساسيّ في كيفية تنظيم وقتك.

نعم للأسئلة من ٢ إلي ٦: إنه اختبار صعب لاهتمامك الشديد بالترتيب والنظافة، فأنت تحسين نفسك مرهَقة بكثرة الأعمال التي يتوجب عليك إنجازها. اسألي نفسك (عندما تكونين هادئة) إن كان بعض الإهمال في ترتيب البيت كارثة فعلاً.

نعم للسؤال ٧: أنت غارقة في تأملاتك بالتأكيد، ربما في قراءة كتاب أو مجلة مثلاً، فلا ترحبين بمقاطعة طفلك. حاولي التنفّس بعمق قبل إجابته، فقد تخرجين من قوقعتك وتستطيعين التواصل مع طفلك بشكل أفضل.

نعم للسؤال ٨: تقولين في نفسك: "أية حماقة اعترت طفلي العبقري الصغير؟ هذا الرسم مرعب! لا أرى فيه أي شيء واضح! عليّ أن أعيد تعليمه من جديد". يتوجب عليّ سؤالك إن كانت هذه هي الطريقة الوحيدة للتعامل مع هذا الوضع.

يمكنني ببساطة تفهم دوافعك للإجابة بـ«نعم» على الأسئلة من ١ إلى ٨، فهذه ردود فعل إنسانية قبل كل شيء، وهي مما يمكن تصحيحه بسهولة لحسن الحظ. لو أنك أجريت هذا التمرين بكل إخلاص فسيتبين لك أن الخطأ لا ينبع من طفلك بل من شدة مشاغلك، من همومك وتوقعاتك.

ولو أنك أجبت بـ«نعم» على السؤالين ٩ و١٠ فعليك تغيير

سلوكك بشكل جذري؛ ففي مرحلة الطفولة المبكرة لا فرق بين قدرات الأطفال من الجنسين ولا في اهتماماتهم. سيأتي يوم يتخصص فيه طفلك في أحد الميادين بلا شك، ولكن -بانتظار ذلك- سيكون تعدد الخبرات مفيداً له في كل مجالات الحياة. مثلاً الصبي الذي يحب اللعب بالدمية ربما يصبح طبيب أطفال ممتازاً في المستقبل.

* * *

إن كل طفل يقف على شاطئ الحياة ومحيطُ المعرفة الواسع يتموّج أمام قدميه ويهيج، وهو قادر على عبور هذا المحيط إلى «مملكة العبقرية» باستخدام ثلاثة مراكب: الفضول، والخيال، والاستقلال.

١ - الفضول

الفضول هو أب لكل أنواع الإبداع. شجعي طفلك على طرح الأسئلة عن كل شيء وأي شيء. دعيه يكتشف الأوضاع الجديدة، فالكاتب الذي سافر كثيراً ومارس مهناً كثيرة يمكنه كتابة كتاب متميز يكون خليطاً لكل ما عاشه، سيكون كاتباً متميزاً يحلل الأحداث ويفهم الطبيعة الإنسانية في ضعفها وقوتها وكل تناقضاتها، فتذكّري هذا دائماً وامنحي طفلك كل انتباهك حين يسألك. حين نكون صغاراً نتعلم كيف نحترم الكبار، ويجب أن يكون العكس أيضاً صحيحاً. من جهة أخرى فإن الصغار لا يستلطفون كثيراً الكبار الذين يسخرون منهم أو يتجاهلونهم أو يعاملونهم بفوقية.

هذا يذكرني بحادثة قريبة. كنت أثرثر مع جارتي التي جاءت

تزورني مع طفلها الصغير. حين رنّ جرس الباب هُرعت وفتحته لأجد مفاجأة جميلة، إذ رأيت صديقة قديمة. سألتني: "هل أزعجتك؟ لقد جئت مع طفلتي". فأجبت: "بالطبع لا. أنت لا تزعجينني، تفضلي".

قمت بعملية التعريف، ثم أخذ الطفلان في اللعب وتفاهما جيداً مثل سمكة في الماء، لكني لاحظت أن جارتي تصرفت بغرابة، فهي تجاهلت تماماً صديقتي وابنتها، وكانت كل ملاحظاتها موجهة لي كما لو كنا وحيدتَين في الغرفة. لقد ارتبكت كثيراً فأنا لم أواجه مثل هذا الموقف من قبل. عالجت صديقتي الوضع بلباقة، لكني أحسستها مرتبكة، أما طفلتها ذات السنوات الأربع فكانت أكثر مباشرة، فبعد رفض المبادرة الودية من جارتي توجهت إلى الصبي لتلعب معه، ثم سمعناها تقول له بعد قليل: يمكنك المجيء لزيارتي في أحد الأيام، لكن لا تصحب أمك معك.

لأول وهلة قد نجد أن هذه القصة لا ترتبط بأي رابط مع تفتح العبقرية، لكن سبب روايتي لها هو إظهار درجة تأثير تجاهل الشخص البالغ على الطفل، وكيف يمكن أن يحبط لديه أفضل المبادرات. كوني دائماً مستمعة، وعندما يسألك ابنك خصصي دائماً وقتاً لإجابته. يمكنك أيضاً «تدريب عضلات» دماغه بطرح أسئلة أخرى. مثلاً، لو كنت أنهيت لتوك قراءة قصة «ليلى والذئب» اسأليه: "أين تذهب ليلى في الغابة؟" أو "أي نوع من الأشجار كان يقطع الحطّابون؟"...

يمكنك لفت انتباهه لما يجري حوله وأنتما تمشيان في

الطريق، اسأليه مثلاً: "برأيك، لماذا يحفر هؤلاء الرجال الطريق؟" أو "كيف تعمل هذه النافورة؟ كيف يصل الماء إلى الحنفية؟" أو ناقشيه في حالة زينة الحديقة: "أليست الأزهار البنفسجية أكثر تألقاً من هذه الصفراء الشاحبة؟"... وهكذا تجدين أن الأمثلة لا تنتهي، تماماً كتطور إمكانات طفلك العبقري.

٢- الخيال

يستقبل طفلك في المدرسة معلومات في كل المواضيع: جغرافيا، تاريخ، رياضيات، فيزياء، علوم إنسانية... لكن هذا كله -بغير استعانة بالخيال- يبقى مثل صورة بلا ألوان. أتمنى أن تدرج كل مدرسة في مناهجها مادة جديدة تسميها «دعوة للخيال»، حيث يمكن للطفل أن يتخيل أصواتاً بعيدة الاحتمال واختراعات غير معقولة...

إن الخيال هو أكسجين الإبداع، إنه يبثّ الحياة واللون والمتعة في كل شيء، لكنه أيضاً يملك وظيفة عملية وضرورية في أكثر المهن، فالعالِم يبدأ أولاً بتخيل نظرية أو تصوّر، ثم يتحقق منها بالمعطيات والبراهين، وعندما تخفق التجربة فإنه يعود مجدداً إلى خياله ليجد طريقة أخرى للوصول إلى النتيجة المرجُوَّة.

يمكن أن يعاني طفلك مشكلة في أي مجال. لنفترض مثلاً أنه يكره حل واجباته، عندئذ يكفيه أن يتخيل جنّية منحنية خلف كتفيه لمساعدته وتشجيعه، وسوف تتحول الواجبات إلى متعة. لا تعنفي إطلاقاً طفلاً يبدي استعداداً «فائضاً» للتخيل، حتى لو بدت قصته غير منطقية.

في أحد الأيام سمعتُ أباً يكلم طفله بغضب: "ما هذا الذي ترويه؟ أي أحمق وضع هذه التُّرّهات في رأسك؟". يُخشى أن يتخذ الطفل موقفاً أكثر تحفظاً في المستقبل، بحيث لا يجرؤ بعد ذلك على استخدام خياله فيخنق -بذلك- موهبته في الإبداع وقدرته على حل المشكلات، بل يمكن أن يسبب هذا الكبت العقلي لدى العبقري رُهاب الانغلاق. عليك أن تتركي لطفلك حرية التخيل لأن الأفكار الكبيرة تتولد غالباً من الأحلام الأكثر عمقاً.

٣- الاستقلال

بعد هاتين الوسيلتين تأتي الثالثة بطبيعة الحال. إن بقي طفلك خائفاً من عدم تحقيق توقعاتك منه فلن يصبح مطلقاً قادراً على التعبير بطريقة إبداعية ولن تتمكن موهبته من التفتح. يحتاج العبقري إلى الشعور المؤكد بأنه لن يلقى معارضة إذا خاض تجربة جديدة؛ لأنه يحقق رضاه عن نفسه من هذه الإرادة للتقدم دائماً في اكتشافاته. إنك تعزّزين بمحبتك روحَ المبادرة في نفسه، وستشعره قوة دعمك بأنه حرّ بالفعل في تحركاته. هذا الشعور بالاستقلال يقوي ثقته بنفسه وينعش عبقريته المبدعة.

الوسائل الثلاث التي سبق ذكرها أساسية للتعبير الكامل للعبقري. منذ وقت قصير استمتعت بمراقبة وضع هذه الحقيقة قيد التطبيق في إحدى البقالات؛ حيث دخلت خلفي أمّ وابنتها، ولاحظتُ فوراً أن الطفلة البالغة من العمر ثمانية أعوام كانت ذات طبيعة فضولية. كانت تراقب بعينين لامعتين كل تفصيل في المتجر وتوالي طرح الأسئلة على أمها، وكانت أحياناً تأخذ علبة أو زجاجة لتتفحصها. لم تعنفها أمها، لكنها طلبت منها بصوت هادئ أن تمسك

الأشياء برفق وتعيدها إلى أمكنتها عندما تنتهي منها. كان الفضول والاستقلالية في غاية الوضوح في هذا الموقف. وعندما جاء دور الأم لتطلب ما يلزمها طلبت كيلوغراماً من العدس، فلم تجد البائعة للأسف معادل الوزن الذي تضعه عادة على لوحة الميزان لتتأكد من وزن البضاعة بدقة. بحثت برهة بعصبية زائدة (بسبب الزبائن الذين كانوا في انتظارها) ثم صبت لومها أخيراً على صبي البقالة المسكين. كنتُ سأقترح حلاً عندما فتحت الصغيرة فمها لتقول وهي تشير إلى أحد الرفوف: "لِمَ لا تستخدمين هذا عياراً للوزن؟". استدارت البائعة نحو الرف الذي أشارت إليه الفتاة، وكانت عليه علبة أرز كُتب عليها «كيلوغرام».

لقد أعجبتُ بذكاء الطفلة الصغيرة وسرعة بديهتها. في هذه القصة بيان لطريقة استخدام هذه الوسائل الثلاثة؛ فقد سبق أن أثبتت الطفلة فضولها، وبمراقبتها لما حولها سمحت لخيالها بالانطلاق، وأخيراً وبثقتها الكبيرة بنفسها أحست نفسها مستقلة بشكل كاف لتقدّم اقتراحاً ظهر نافعاً.

ارفعي طفلك على هذه الدرجات الثلاث لتتفتح له آفاق لانهائية نحو عالم العبقرية.

* * *

-١١-

ضبط تدريب العبقري

عندما ذهبتُ لألقي محاضرة في إحدى المدارس اقترب مني صبيّ صغير وقال لي بغيرة وأسف: "أنت محظوظة. لو أني كنت مثلك لاستطعت حل كل مسائل الرياضيات بغير حاجة إلى التعب".

في البداية وجدتُ الأمر مسليّاً، ثم شعرتُ قليلاً بالقلق بعد ذلك، وبيّنتُ له قائلة: "هل تعرف أن إيجاد الحلول ليس إلا جزءاً من العمل؟ إنه بنفس أهمية فهم الطريقة التي تقودك إلى الإجابة الصحيحة". ولا أعرف إن كانت رسالتي قد وصلته أم لا، لكن الصغير ذهب راضياً.

لقد ذكرتُ هذه الحادثة من أجل الآباء الذين يعتبرون أطفالهم طلاباً ناجحين لمجرد حصولهم على علامات عالية في المدرسة، دون اهتمام بمعرفة مقدار فهمهم لما يتعلمون أو حتى مدى استساغتهم لهذا العلم.

إن كثيراً من التلاميذ لا يجدون من يُسدي إليهم النصح، ولهذا السبب فإنهم يكتفون بحفظ دروسهم عن ظهر قلب، وفي ساعة الامتحان يرددون الإجابات بطريقة الببغاوات. إن الذاكرة الجيدة

مؤهل ثمين للنجاح بالتأكيد، لكنها تبقى محدودة إذا استُخدمت وحدها. إنها لا تفيد في اكتساب المعرفة الأصلية، إذ لا تكون المعرفة إلا ثمرة التجربة والمشاركة. وفي أغلب الحالات يلعب الوالدون هنا دوراً غير محدود.

لقد أصدرت إحدى الصحف حديثاً نتائج تحقيق بيّن أنّ "اثنين من كل ثلاثة آباء ممن جرى عليهم التحقيق اعترفوا بعدم كفاية إشرافهم وانتباههم على أبنائهم". لو كنت جزءاً من هذا الصنف فإني أنصحك بشدة بتعديل سلوكك؛ فإذا أردت أن يصبح طفلك عبقرياً فعليك أن تساعديه على التعلم، ومن أجل هذا عليه امتلاك عدة كفاءات وعادات. بنفس طريقة ضبط المذياع للحصول على أفضل استقبال يحتاج دماغ طفلك إلى ضبط محدد ليثبت على الموجات المطلوبة... وعلى طريق العبقرية.

يلزمك الاهتمام بأربع قنوات في سبيل ذلك:

(١) الحافز، (٢) التركيز، (٣) الفهم، (٤) الذاكرة.

١ - الحافز

الحافز هو ابن الاستقلال. في مكان ما في زاوية من رأسه، يفهم الطفل أن الآباء والمعلمين هم أدوات حصوله على المعرفة، فيتوجه نحوك ونحو معلميه ليحصل على الإجابات التي يحتاجها. لكن يجب أن يعلم أنك وإن استطعت تزويده بالمعلومات المطلوبة فإن أحداً لن يحفظها بدلاً منه، وهكذا يدخل مفهوم الاستقلال إلى حياته منذ عمر مبكر.

انتقلت إحدى صديقاتي من مسكنها حديثاً، وعندما زرتها

في بيتها الجديد سألتها: "كيف هم جيرانك؟"، فأجابتني بلا تردد: "إنهم رائعون! وبتفصيل أكثر: منذ عرفوا أنني معلمة لم يتوقفوا عن إرسال أطفالهم إليّ مع أطنان من الأسئلة". انفجرت ضاحكة، ثم تابعت بجدية: هل تعرفين ما هو أكثر ما يدهشني؟ لقد تولد لدي انطباع بأنه لا يزعجهم إطلاقاً أن أتولى إنجاز أعمال أطفالهم بدلاً منهم، وفي أحد الأيام جاءت طفلة صغيرة تطلب مني صراحة كتابة موضوع تعبير عن الكلاب بدلاً منها.

- وماذا فعلت؟

- أعرتها كتباً. في البداية لم تتحمس للفكرة، لكن عندما كلمتها قليلاً عن هذه الكتب بدت أكثر حماسة، وأخيراً قالت لي: "هل تعرفين ما أكثر ما أحبه في الكلاب؟ إنه عيونها الحنونة وذَنَبها الذي تحركه للترحيب بالناس"، ثم أضافت مفكرة: "أتمنى لو كان لي ذنب أحركه"! سألتها: "لماذا؟" فأجابت موضّحة: "في السنة الماضية انضمّ إلى فصلنا طفل صغير قالت لنا المعلمة إنه فقد والده في الحرب، وقالت إنه يتوجب علينا أن نكون لطفاء معه. أردت مساعدته لكني لم أعرف كيف أبدأ". ثم نظرت إليّ بعينين مفتوحتين مثل كلب صيد انجليزي وقالت: "لو كنت أملك ذنباً لحركته، فيعرف أني أريد أن أكون صديقة له".

لقد مسّ كرم هذه الطفلة مشاعري، ثم لاحظت أني أمسكت بمفتاح الحديث الذي كنت أحتاجه فقلتُ لها: "أنت تملكين قلباً كبيراً. لِمَ لا تروين هذه القصة في موضوعك؟". نظرت إليّ برهة ثم سألتني بصوت اختلط فيه الاضطراب بالسعادة: "هل أستطيع ذلك

حقّاً؟" فأجبتها: "بالتأكيد".

هل تعرفين ماذا حصل بعد ذلك؟ جلستْ على طاولتي وشرعت في الكتابة لتنتج موضوعاً جميلاً جداً، وعندما أرتني إياه قلت لها: رائع! سيفخر بك والداك ومعلمتك.

قلت لصديقتي: إنك دائماً مربية رائعة.

ولكن ما هو مجمل ما فعلَتْه؟ لقد كرّسَت قليلاً من الوقت للصغيرة فجعلتها تكتشف في نفسها وسائل كفيلة بتوجيهها، فوعت الصغيرة أن بإمكانها إنجاز العمل بمفردها. بعد ذلك عرفتُ من صديقتي أن هذا الموضوع كان عظيم الأثر ونالت عليه الطفلة أفضل علامة في الفصل، وطلبت منها المعلمة أن تقرأه أمام رفاقها فضاعف هذا الشرف من ثقتها في نفسها. وبعد هذه التجربة أصبحت تكتب كل مواضيعها دون استعانة بأحد وحافظت دائماً على علاماتها المرتفعة في التعبير، وهي تحلم الآن بأن تصبح كاتبة وتكتب رواية طويلة. إن هذا يشبه تماماً الطريقة التي تصنع بها الجداول الصغيرة أنهاراً كبيرة.

لتوجيه طفلك يتوجب عليك قضاء وقت معه، وفهم مراكز اهتمامه، ثم قيادته. شجّعيه على إنجاز واجباته بنفسه، وتلقّي إلهامه من واقعه المُعاش ومن ذوقه الخاص. يتوجب عليك أيضاً تقدير وإطراء الجهود التي يبذلها، مثلاً يمكنك إبداء إعجابك بطفلتك بأن تقولي لزوجك (على مسمع منها): "إن ليلى ذكية جداً ومستقلة، لقد كتبت اليوم بمفردها موضوعاً رائعاً عن الكلاب". وسيكون الأمر أفضل لو أجاب زوجك: "حقاً! يجب عليّ أن أقرأه إذن". أغلب

علماء نفس الطفل يسمون هذه الطريقة «الإيحاء». كما يمكنك أيضاً تهنئة طفلك مباشرة، مثلاً إن أحضر نتيجة جيدة فمديحك يسعده فعلاً. وهناك طريقة أخرى فعّالة أيضاً: أحلام السبق. لو أنك قلت لطفلك إن عمله المتواصل قد يقوده يوماً إلى الحصول على بعثة أو عمل مُجْزٍ في مجال يهمّه فسيرغب في العمل بأقصى جهده بالتأكيد.

٢- التركيز

إن من أسوأ الخدمات التي يمكن أن يقدمها المعلم للطفل أن يسجل على ورقة علاماته المدرسية ملاحظات من نوع «يفتقد للتركيز» أو «شارد الذهن»... حيث يطلق الوالدان في البيت صيحات اعتراض ويوبخان طفلهما؛ وهكذا يقود المعلم والوالدان الطفلَ في وقت واحد إلى تكوين صورة سلبية عن نفسه، وهذا يضر جداً بتطوره ومستقبله بشكل عام.

أنصح المعلم بدلاً من ذلك بتنظيم اجتماع مغلق مع الوالدَين اللذين يستطيعان بالتالي أخذ الخطوات اللازمة لتصحيح الضعف الحالي.

الخطوة الأولى نحو التركيز الأفضل هي إعطاء الطفل صورة إيجابية عن نفسه، ويمكننا التوصل لذلك بطرق مختلفة، بالإشادة بإنجازاته مثلاً. عندما يكمل طفلك تركيب صورة مقطعة لا تترددي في تهنئته بقول مثل: "ممتاز! يلزم كثير من التركيز لإكمال تركيب الصورة بهذه السرعة. اذهب بسرعة إلى والدك وأخبره بإنجازك". بينما يروي الطفل إنجازه لوالده تتعزز ثقته بقوة تركيزه، ومن

المناسب حينئذ أن ينضمّ الوالد إلى مجموعة المادحين.

يمكنك استغلال عدة أوضاع في الحياة اليومية لتقوية صورة طفلك الإيجابية عن نفسه. مثلاً: إذا كان هاوياً لكرة المضرب ويتابع مباريات هذه اللعبة بإعجاب فلماذا لا تستفيدين من ذلك؟ قولي له إن أبطال كرة المضرب الكبار ينجحون لأنهم يستطيعون التركيز جيداً، ثم قولي: "أعرف أنك جدير بذلك أنت أيضاً". شجعي طفلك على ترديد جملة: «أستطيع أن أفعل». اروي له حكايات عن أشخاص واجهوا ظروفاً صعبة فرددوا نفس هذه الكلمات السحرية، وبعد ذلك نهلوا من قدرتها على تحفيز التركيز وكان النجاح حليفهم. بإضافة التقدير الذاتي إلى الأمثلة والقصص تساعدين طفلك على التركيز الضروري لكل عمل مطول.

٣- الفهم

في كتاب عنوانه «لماذا يُخفق الأطفال في المدرسة» كتب المؤلف جون هولت (الذي يعمل مربياً أمريكياً): "عندما أستعمل كلمة «ذكاء» فإنني أشير إلى أسلوب تصرف في مواقف مختلفة. العلامة الحقيقية للذكاء ليست مجموعة معارفنا وقدراتنا ولكنها ردود أفعالنا، وبالذات حين يكون الموقف جديداً علينا". هنا يتدخل الفهم: العبقري هو الذي يستطيع الاستفادة من معارف سابقة لمواجهة أوضاع جديدة. إنه ليس فقط المتلقي السلبي لأكوام المعلومات، بل إنه جدير بالاستفادة من معلوماته بدراية جديدة.

الطفل أو البالغ الذي لم يبلغ هذا المقدار الكافي من الفهم يمكن أن يحس بالهلع أو يعترف بالإخفاق عند أول مشكلة جديدة

تواجهه. لتعرفي موضعك من هذا الفهم حاولي أن تحلي المسألة التالية، وحدك أولاً ثم اعرضيها على طفلك. لعمل هذا التمرين العقلي لا تستخدمي أوراقاً ولا أقلاماً ولا آلة حاسبة، ولا تعطي نفسك أكثر من خمس دقائق.

٢ ×١٠ × ٥٢ × ٦ × ٤ × ٣ × ٢ × ٢٣ ×٠ × ٥ × ١١ × ٤ ×
٣٣٣ × ٢٥٦١٣ =؟

ما هو الجواب؟ سيلقي الكثير منكم نظرة رعب على هذه السلسلة من الأرقام ويتراجع على الفور. لكن كيف يمكن أن يتصرف شخص طوّر فهمه إزاء هذه المسألة؟ سينطلق من مبدأ أن لا شيء مستحيل وأن المسائل التي تبدو شديدة التعقيد لها أحياناً إجابات في غاية السهولة. الدقائق الخمس تترك وقتاً أكثر بكثير من اللازم. سيفحص هذا الشخص الأرقام بانتباه شديد، ولن يلزمه أكثر من بضع ثوان للوصول إلى الحل. إن نتيجة هذه العملية هي صفر.

للتوصل إليها تجب دراسة الأعداد بعناية، وفي اللحظة التي تلاحظين فيها الصفر المحشور في وسط السطر تكون المسألة قد حُلّت؛ فكل رقم مضروب في صفر جوابه صفر. الفهم الجيد يأتي من نفس مصدر التركيز الجيد: هذا التأكيد: «أستطيع أن أفعل». إن الطفل القوي بهذه النظرة الإيجابية يعرف دائماً أنه إن لم يستطع معرفة الجواب فإنه يستطيع البحث عنه في كتبه ودفاتره، ولا ينسى أيضاً أنه يستطيع طلب المساعدة من المعلم والوالد. إنه يواجه المشكلات على أساس قوي منذ أن يفهم أنه لا يوجد مستحيل.

لمساعدة طفلك على تطوير هذه الموهبة، تستطيعين اقتراح

الأسلوب الذي أسميه «عملية الحل» والتي تتألف من ثلاث مراحل:

١- المعطيات.

٢- الطريقة.

٣- الحل.

لننظر إلى المسألة التالية: بول له عمر جون قبل خمس سنوات، أما جاك الذي يبلغ خمسة عشر عاماً فهو أكبر من جون بأربع سنوات. كم عمر بول؟

عملية الحل تكون كالتالي:

١- المعطيات:

(أ) بول بعمر جون قبل خمس سنوات.

(ب) جاك (ذو الخمسة عشر عاماً) أكبر من جون بأربع سنوات.

٢- الطريقة:

(أ) عمر جون = عمر جاك -٤، أي أنه يساوي ١٥-٤ = ١١؛ إذن عمر جون أحد عشر عاماً.

(ب) عمر بول = عمر جون ناقصاً خمس سنوات، أي أنه: ١١-٥ = ٦.

٣- الحل: عمر بول هو ست سنوات.

من الضروري إذن منذ البداية الفهم بأن هناك هدفاً نبتغي الوصول إليه. اختبري المعطيات جيداً، ثم استخدمي الطريقة للوصول إلى الحل. إنه ليس إلا مثالاً بالتأكيد، لكنك تساعدين طفلك على تطوير مواهبه في الاستنتاج باستخدام تمارين مماثلة.

٤- الذاكرة

في الفصل السادس شرحت لك كيف تحثّين طفلك على إنشاء «فلم داخلي» بحكاية القصص له. إن الذاكرة الجيدة تسمح له بالاحتفاظ بهذه الصور وتجميعها داخل دماغه، ويمكنك أن تسدي له خدمة لا تُقدَّر بثمن بتنشيط هذه الذاكرة في أثناء حوار متنوع. اجتهدي على أن يبقى هذا النقاش محبباً لطيفاً دون ضغط منك أو إجبار، واطمئني أيضاً إلى أن انتباه طفلك لا يضعف، فإذا عاش هذه الجلسات بطريقة مرهقة فسوف يتعب بسرعة ولن تحقق التمارين هدفها. لنأخذ -مثلاً- صورة من إحدى الحكايات يظهر فيها الأمير وهو يصطاد بالقوس والسهم... يمكن أن يدور النقاش كالتالي:

الأم: ماذا يرمي الأمير؟

الطفل: طائراً.

الأم: أين الطائر؟

الطفل: على الشجرة... على أحد الأغصان قريباً من قمة الشجرة. ريشه الأحمر يظهر بوضوح بين الأوراق الخضراء.

الأم: هل اختار الأمير زاوية مناسبة للرمي؟

الطفل (متردداً): نعم، أظن ذلك بما أنه استطاع إصابة الطائر. لو رسمتُ خطاً مستقيماً... (يرسم على ورقة).

الأم: ماذا يلبس الأمير أرجون؟

الطفل: ملابس حمراء وحزاماً أحمر وتاجاً على رأسه، ويضع على ظهره كِنانة مليئة بالسهام.

الأم: وكيف يقف؟

الطفل: ساقاه متباعدتان. لا أرى قدميه فهما مخفيّتان بالأغصان الطويلة.

يُفضَّل في البداية أن تعرضي على طفلك مصوَّراً للملاحظة والاستنتاج كالمثال السابق، وبعد ذلك سيُكوّن بنفسه -إذ يكون غارقاً في كتابه- صوره الخاصة كلما قرأ مقطعاً معيناً. هذا التمرين يُقوّي قدرة الطفل على تثبيت المعلومات.

* * *

إذا نجحت في توجيه طاقة طفلك العقلية في هذه الاتجاهات الأربعة (الحافز والتركيز والفهم والذاكرة) فسوف تُنشئين بالتأكيد تلميذاً موهوباً. أذكّرك مرة أخرى: احرصي على أن تتم كل هذه التمارين في جو استرخاء. يجب أن لا يشعر الطفل بأنه خاضع لامتحان دائم، فسوف يسبب له هذا الشعور قلقاً وتوتراً، وهما سببان أكيدان للإخفاق.

وهناك عنصر آخر مهم، يتوجب عليك أن تتيحي لطفلك فرصاً مستمرة للتعلم. إن الرحلات المزودة بهدف تعليمي أو تربوي تساهم في فهم أفضل لما يقرؤه في الكتب، فهي تمنح الطفل عمقاً أكبر لمعارفه وتمكنه من الحديث انطلاقاً من تجارب مُعاشة، وستصبح الحياة أكثر متعة وتسلية وثراء مما يُقوّي حوافزه، وهكذا تشقين طريقه نحو العبقرية.

* * *

-١٢-

العبقري يغمس ريشته

الكتابة فيها سحر كامن، فعندما يبدأ الطفل بخط أولى كلماته على الورق تنشأ في دماغه اهتزازات ناعمة يسبّبها وضع استنتاجاته قيد التطبيق والرغبة في مشاركة أفكاره. ومنذ أن يتعلم الطفل الكلام يتصور كثير من الآباء أنه جاهز لتعلم الكتابة، لكن هذا ليس صحيحاً تماماً، لأن من الخطأ أن نقلل من منزلة المرحلة السابقة للكتابة، وهي الرسم.

إن الرسم وسيلة رائعة للتواصل. أذكر إعلاناً شاهدته منذ بضع سنوات يُظهر يداً لطفل ترسم أشخاصاً صغاراً بخطوط بسيطة تُعبّر عن السواعد والسيقان. انتهى من رسم الشخص الأول فقال: «هذا أبي»، ثم قال: «وهذه أمي»، ثم بدأ يرسم شخصاً ثالثاً، وبعد تردد قصير مسح سيقانه قائلاً: «وهذا أنا». كانت تلك دعاية لصالح المعاقين، وما زلت حتى اليوم أتأثر عند تذكري هذا الإعلان.

الرسم ضرورة للطفل لأنه يسمح له بمشاركة مشاعره مع الآخرين بطريقة سهلة، ثم إنها تهيئة ممتازة للكتابة. يجب إذن تحميس العبقري الصغير على الرسم، لذلك قدّمي له دفتراً وأقلاماً وألواناً، ثم دعيه يرسم ما يسليه.

إن التحكم باللغة المَحكيّة، ثم الرسم، ثم القراءة أخيراً؛ هي المراحل التي تقود تدريجياً إلى الكتابة. ربما ستلاحظين أن طفلاً يتكلم «مثل المطحنة» قد يجد كثيراً من الهدوء الداخلي عندما يرسم أو يكتب.

في الواقع يمكن أن ينشأ عن الكتابة اكتفاء عظيم؛ إنها ممارسة ممتعة لأن انطباع الخصوصية الذي نُحسّه أمام الورق والقلم يسمح لنا بالانطلاق، أو بتعبير آخر: الكتابة ليست سوى رسم أو تلوين الكلمات، وهي ضرورة حتمية للعبقري الصغير. لسوء الحظ فإن من المستحيل تقريباً للمعلم في الصفوف التقليدية أن يولي انتباهه لكل تلميذ على حدة، ليس الانتباه اللازم للتطوير الكامل لمواهب الكتابة على الأقل، لكن كونك أماً يسمح لك بمنح هذا الجانب اهتمامك كله.

إن الكتابة تُحسِّن وضوح الأفكار وتَرابطها، وهذا يساعد طفلك على أن يصبح «متواصلاً» جيداً أيضاً. لتشجيعه أطلب منك تطبيق النصائح التالية:

عبّري عن اهتمامك وحبك

بما أن هدفك هو جعل الكتابة أكثر سهولة وأكثر متعة، **فلا تجبري طفلك**. أظهري اهتمامك ولا تبخلي بالمديح، وحوّلي أعمال النسخ إلى قضاء وقت ممتع. اقرئي قصصاً وأشعاراً، واعملي على أن يراك طفلك تقرئين أو تكتبين في كثير من الأوقات ليعتبر هذه النشاطات عادية وطبيعية. العبي معه لعبة الحروف والكلمات «سكرابل» ودعي طفلك يبحث عن الكلمات في المعجم.

منذ وقت قريب كنت ألعب هذه اللعبة مع واحدة من صديقاتي وأبنائها عندما كوَّنَ أصغر الأطفال كلمة طويلة غير مألوفة، فاعترض إخوته وأخواته على الفور صارخين: "هذه الكلمة غير موجودة"، فأصرّ قائلاً: "بلى". وليثبت لهم أنه مُحِقّ أحضر معجماً ضخماً وأراهم معنى الكلمة. تستطيعين أيضاً تسلية المشاركين بالبحث عن مرادفات أو أضداد، وهذا أمر مسلّ ومفيد معاً. أو اطلبي مثلاً من كل عضو من أعضاء العائلة تكوين كلمات أو جُمَل مقلوبة (يمكن أن تُقرَأ بالطريقة ذاتها من اليسار إلى اليمين ومن اليمين إلى اليسار)، مثل: «سِرْ فلا كَبا بك الفرس».

هذه الألعاب تُثري مفردات طفلك وتفيده كثيراً عندما يبدأ بالكتابة. إن إبداع مفردات جديدة يعني أن العبقري قد بدأ ينشأ، فحاولي كل الطرق: من الكلمات المتقاطعة إلى اشتقاق كلمات مختلفة بتقليب بعض الحروف، مثل: بحر، وحرب، وربح، وحبر...

للوالدة الكثيرة الانشغال

ربما كنت من أولئك الأمهات اللاتي لا يتوصلن -رغم كل جهودهن- إلى قضاء وقت كاف مع أطفالهن، ولديك طفل ممتلئ بالحيوية طلق اللسان يملك دائماً شيئاً يقوله لك. علّميه كيف يقيّد أفكاره بالكتابة. إنه تمرين جيد للعبقري، وقد يجد الطفل أن الكتابة أكثر سهولة -لسبب أو لآخر- من التعبير الشفوي. إن لغة الكلام تتجه لأن تكون أكثر مباشَرة وأكثر بساطة أيضاً، مثل: «إنها تمطر». لكن لو طلبت من طفلك أن يكتب نصّاً قصيراً عن المطر فإنه يمكن أن

يُفاجئك بكتابة شيء مثل: "إنها تُمطر كما لو كانت سهاماً تسقط من السماء"! فيما يلي مقطع ألّفه طفل عمره ست سنوات:

تقفز السمكة في المستنقع من الفرح،
تستمر الضفادع في النقيق،
تسبح البطات كالملكات،
إنها تُمطر!
يشرب العشب بجرعات كبيرة،
تستيقظ الأزهار فجأة،
وتمد دودةُ الأرض أنفَها،
إنها تُمطر!
فليك فلوك... القطرات المنعشة،
إنها تنزلق على الأوراق الناعمة،
إنه حَفيف الطبيعة كلها،
إنها تُمطر!

المكان المناسب

سبق وبيَّنتُ في الفصول السابقة مدى أهمية امتلاك حجرة مهيَّئة جيداً للطفل، ولا سيما بالأوراق والأقلام، ولكن ليس معنى هذا بالطبع منعه من الكتابة على طاولة الطعام إن أراد ذلك. لإيقاظ العبقرية في الطفل يجب السماح لإبداعه بالتعبير حين يبدو له ذلك.

والوقت اللازم

إذا طلبت من طفلك كتابة نصّ قصير فلا تَبقي منحنية خلف كتفيه لمراقبته، بل اتركي له الوقت الكافي للتفكير؛ فالتفكير أداة

مهمة للكتابة، حتى إن كثيراً من الكُتّاب المشهورين أعلنوا أنه يستغرق وقتاً أطول بكثير من الكتابة الحرفية لكل ما يُقال. ربما تجدين طفلك في حالة «سرحان»، مشغولاً ببَرْي قلم أو تصفّح كتاب أو النظر من النافذة... دعيه وشأنه، فروحه تُحلّق نحو قمم العبقرية.

راقبي ردود فعلك

احتفظي دائماً بكلمات تشجيع في فمك، فأنت هنا لتغذّي شرارة الانطلاق لا لتضغطي على كابح الإيقاف. أظهري اهتمامك بما يكتبه طفلك لا بطريقته في الكتابة. وفي هذه المرحلة لا بأس من الأخطاء الإملائية أو النحوية، والوالدة الحكيمة تتجاهلها. ما يهم هنا هو الأفكار المعروضة وطريقة تنظيمها لا الإملاء والقواعد.

لا تكتبي بدلاً منه أبداً

لا تكتبي أبداً موضوع تعبير أو أي عمل آخر قد يُنسَب إلى طفلك، وبالمثل لا تعيدي كتابة نصّ سبق له كتابته. في الواقع هناك عناصر أخرى تدخل في الأمر غير مجرد فعل الكتابة: تعلّم احترام الوقت المحدد من قبَل المعلم، وتحمل مسؤولية عمل متكامل. يحتاج طفلك إلى الشعور بالرضا عن عمله المُنجَز كاملاً، وبمعنى آخر: عليه أن ينجح في الشعور بالسعادة للحصول على هذه «الحقوق التأليفية»، فهذا يُقوّي ثقته بنفسه وشعوره بالاستقلال، وتنظيمه الشخصي كذلك.

لا تكوني أبداً ناقدة

يتغذى العبقريّ الصغير بالمديح، فحاولي العثور على النقاط الإيجابية في كل الحالات؛ امتدحي الابتكار والتعبير عن موهبة

شخصية، ومن بين النواحي الحسنة لا تنسي: تذوق التفاصيل، الوصف الحي، الأفكار الجديدة، الخيال...

التقليد

في بداية الأمر يمكن أن يقلّد طفلك كاتباً يشعر بتقدير شخصيّ له. لا تقلقي ولا تُبيّني له أصلاً أنك لاحظت ذلك، لأن التقليد هو بداية الإبداع، ولن يمضي وقت طويل حتى تلاحظي أن طفلك يتبنى أفكاراً معينة ثم يُكوّن أفكاره الخاصة به. أعرف كاتبة لقصص الأطفال كانت مُعجبة في شبابها بالكاتبة المشهورة إنيد بلايتون، ولا سيما سلسلة «المغامرون الخمسة»، فسمّت كتابها الأول الذي استوحته بوضوح من هذا النموذج «عصابة الثلاثة». أما الآن فقد عرفت نجاحاً كبيراً ذا أسلوب متفرد جداً، وسيعرف طفلك أيضاً كيف يجد نفسه بالتدريج.

الكتابة همزة وصل

شجعي طفلك على الكتابة لأصدقائه أو أقربائه في المناسبات وليس على شراء بطاقات معايدة مكتوبة مسبَقاً. أعرف طفلة كانت تصنع بطاقات المعايدة بنفسها وتكتب بداخلها رسائلها الخاصة، وكان المستلم السعيد برسالتها يجيبها في أغلب الأحيان. إنه الوقت المناسب أيضاً ليجد طفلك من يراسله، فعملية إرسال الرسائل والصور مُفرحة أيضاً مثل استلامها. إنها نافذة مفتوحة بواسطة اللغة على العالم أجمع.

نسخ: إذا أحبّ طفلك أناشيد مُعينة فاقترحي عليه أن يتعلم كلماتها ويكتبها بسماعها من شريط التسجيل أو القرص المدمج. إنه

يستطيع أيضاً تسجيل مشاعره وملاحظاته أو أشعاره المفضلة بجمعها من الكتب، أو حتى بعض المشاهد التلفازية التي تُعجبه.

قوائم: وضع النماذج يُنظّم دماغ العبقري، فشجعي طفلك إذن على وضع قوائم لأقراصه المدمجة ولأشرطته وكتبه، إلخ، وبذلك سيمتلك مكتبة جيدة التنظيم. وإن كنت تخططين للسفر في إجازة فاعهدي إليه بعمل قائمة الملابس وما يلزم أخذه للرحلة، وإذا ما أحسّ نفسه يوماً مُثقلاً بالأعمال فاقترحي عليه أن يُدوّن الأعمال المتعددة التي يتوجب عليه تأديتها، وهكذا كلما أنجز واحدة من هذه المهام نظر إلى قائمته راضياً قبل أن ينكب على المهمة التالية بطاقة متجددة.

مذكرات: إن كتابة المذكرات خير تدريب للعبقري الصغير الذي سيعتبرها -مع الزمن- موضع ثقته وخير من يأتمنه على أسراره ومشاعره. لقد جعلتنا مذكرات آن فرانك (التي لاقت نجاحاً واضحاً لدى الأطفال والبالغين) نشارك فتاة شابة مشاعرها ومخاوفها وإحباطاتها وآمالها ونظرتها إلى الحياة، حتى إن إحدى صديقاتي (التي كانت تبلغ من العمر ثماني سنوات في أثناء الحرب في الهند الصينية في عام ١٩٢٦) حكت لي مؤخراً أن هذا الكتاب دفعها إلى كتابة مذكراتها الخاصة خلال هذا الوقت العصيب. تقول: "حتى إنني احتفظتُ بقطع من الشمع الذائب الذي كنا نستعمله في أثناء ساعات منع التجول. لقد ساعدتني هذه المذكرات كثيراً، إذ أبعدَت عنّي الخوف وأعطت هذه الحرب مظهراً حالماً". وهكذا يمكن أن تكون المذكرات صديقاً وفيّاً وطريقة للتعبير في الوقت ذاته، كما يمكن أن تكون موضعاً للتنفيس في الظروف الصعبة.

يمكن لطفلك أن يُغني مذكراته بورقة تقويم أو قطعة من صحيفة أو بطاقة بريدية أو بعض الصور، أو أي شيء تكون له ذكرى معينة في نفسه. وتبقى المذكرات دائماً وسيلة رائعة لتطوير موهبة الكتابة لديه. ليس من المحتّم أن يصبح طفلك كاتباً أو صحفيّاً، لكن القدرة على الكتابة وسيلة ضروريّة في أي مجال مِهَني، وحتى في عالم التجارة يمكن له أن يُثبت جدوى مشروعه بعرض واضح ومُقنع، وإذا ما اضطر إلى الكلام أمام جمهور فإن قدرته القوية على التعبير هي التي تعكس قوة التأثير. لا تنسي أبداً: شجعي عبقريّك الصغير على الكتابة دائماً وفي كل وقت.



-١٣-

إيقاظ العبقرية: مسألة موقف

ماذا يرى طفلك عندما ينظر في المرآة؟ سأطرح السؤال بطريقة أخرى. ماذا يفعل طفلك عندما تضعين أمامه لوحاً من الشُّكلاطة؟ سيصيح على الأرجح قائلاً: "ما ألذَّه! سآكله". والآن، ضعي أمامه طبقاً من الطعام الذي يكرهه أكثر من أي شيء ولاحظي ردة فعله. سيكشّر وجهه بالتأكيد ويعلن باشمئزاز: "ما هذا! سبانخ؟". إن ردة الفعل الأولى إيجابية، أما الثانية فهي سلبية.

لنعد الآن إلى السؤال الأول: ماذا يرى طفلك عندما يتأمل شكله في المرآة؟ هل ستكون إجابتك إيجابية أم سلبية؟ ربما لم تفكري في ذلك قط، مع أنه من الأهمية بحيث يستحق أن تتوقفي عنده زمناً. ليس المهم هو ما يراه الطفل بالفعل، لكن ما يهم هو تصوره عن نفسه. هذا التصور سيؤثر في كل مظاهر حياته المستقبلية. لقد وجدت مثالاً ممتازاً عن هذه الفكرة في فلم رأيتُه مؤخراً عنوانه «مختلفون لكن متساوون». إنه فلم قويّ يعالج التعصب وكفاح سود أمريكا لنيل المساواة مع البيض في الحقوق، وفي أحد المشاهد أُعطيَت فتيات أمريكيات من أصل إفريقي دميتين، واحدة سوداء والثانية بيضاء، ثم سُئلنَ عن الأجمل بينهما، فاختارت كل الفتيات

الدمية البيضاء بلا تردد. أي ميراث ساحق فُرض عليهم! إن تقدير الأطفال السود لأنفسهم ضعيف جداً، بل هو منعدم تقريباً، فالأبيض في نظرهم هو الأفضل بطبيعة الحال وهو الأجمل. هذا المشهد الرهيب يُبيّن بوضوح احتقار السود، ليس فقط من قِبَل البيض، بل من قِبَل مجتمعهم الأسود نفسه كذلك. كيف سينجح الطفل الأسود الأمريكي في أن ينمو ويترعرع وهو يحمل هذا التصور عن نفسه، حتى لو مُنح الفرصة لذلك؟ هذا المثال يُبين جيداً -كما أعتقد- أهمية سؤالي الأول الذي قد يبدو لك للوهلة الأولى مضحكاً أو عديم الأهمية: ماذا يرى طفلك عندما ينظر في المرآة؟

كما نعلم، إن رؤيتنا للعالم تعتمد إلى حدّ كبير على نظرتنا لأنفسنا. إن ردود أفعالك ومواقفك ولغتك الجسدية تعمل كدلالات، فلو اعتقدت مخلصة أن طفلك قادر على النجاح فيما يقوم به، وأظهرت له هذا الاعتقاد، فسوف يملك فرصة أكبر للاقتناع بذلك. أعرف أماً لم تتلقَّ تعليماً عالياً جداً ولم تقرأ أي كتاب من كتب التربية، فهي ربت أطفالها على «الفطرة» مرتكزة بشكل رئيسي على حبها العظيم لأطفالها، وهكذا نجح كلّ منهم في مجاله، وهم الآن سعداء ومتزنون. خلال فترة شبابهم شعرت أمهم بوضوح أنهم يبحثون لديها عن إجابات لتساؤلاتهم، فاستطاعت أن تكون في الوقت نفسه أماً ومعلمة ورفيقة لعب وفنانة وعالمة ومعالجة نفسية وصديقة ومرشدة وتلميذة ومراقبة وناقدة... حسب المناسبات. أما أطفالها فقد كبروا وهم على ثقة من حب أمهم غير المشروط وبإحساس عميق بإمكانية تقدمهم. كانت عندما ينال أحدهم علامة مرضية في إحدى المواد المدرسية تهنئه، لكنها تنبهه أيضاً بكل رفق إلى أنه يستطيع أن يكون بنفس هذه الجدارة في المواد الأخرى.

كانت تشجع أطفالها بذلك على بذل أفضل ما يستطيعون. إنها الآن في السبعين من عمرها، وقد كبر أطفالها وتزوجوا، لكنها لم تغير موقفها منهم. إنها ما زالت تركز على نقاط قوتهم دون وعي منها، وتستفيد من نقاط القوة هذه في تقوية نقاط ضعفهم. وقد روت لي إحدى بناتها الحكاية التالية: كان والدنا يطالبنا دائماً بعلامات مرتفعة في الرياضيات، فكنا نبذل كل جهدنا في هذه المادة. في أحد الأيام استلمت شهادتي المدرسية التي فاجأت والدي: فقد نلت الدرجة الكاملة في الرياضيات (٢٠ من ٢٠)، ولكني حصلت على ١٤ فقط في التاريخ. بعد ذلك أصبحت أمي (التي تعرف قدراتي جيداً) تشجعني على الاجتهاد في كل المواد وليس في الرياضيات فقط.

يجب أن نعمل مثل هذه الأم على استغلال المناسبات كلها. استعيني دائماً بنقاط القوة لتقوية الضعف. كثيراً ما يفرض الآباء على أطفالهم اتجاهاً مِهَنيّاً محدداً؛ قد يكون هو ما حلموا به يوماً ما. إن كان الأب مهندساً فإنه يدفع ابنه نحو الاهتمام بالرياضيات، أما إن كان رجل أعمال فسيدفعه إلى دراسة التجارة... وهكذا، دون اهتمام بما يُعجب الطفل ويشدّ انتباهه. وقد يكون الأمر على العكس من ذلك، إذ يعاني الأب من مهنته ويتعب فيها، فيبعد طفله عن مجال عمله دون شعور منه. الأول مثل الثاني، كلاهما يتجهان لإفناء العبقري الذي كان يمكن أن ينشأ.

إن من حق الطفل أن يعبّر عن أفكاره ويحدد مواضع اهتمامه ويقرر مستقبله، ونحن عندما نقرر جانباً مِهَنياً بالنيابة عنه أو نبعده عن آخر فإننا بذلك لا ننجح إلا بوضع حواجز أمام مواهبه وقدراته. عندما نعلق حجراً حول رقبة أحدهم ونرميه وسط بحيرة لا يمكن أن

يتجه إلا نحو هدف واحد، إلى الأعماق. لا تقيّدي طفلك بمواقفك وأفكارك، وإذا كانت اهتماماته تقوده إلى اتجاه مختلف عن اتجاهك فعليك أن تعطيه طرف الخيط ثم تتركيه يكبر ويتوسع في الاتجاه الذي اختاره بدلاً من العمل على إحباطه. ستعملين أفضل من ذلك بمساعدته على الثقة بقدراته. فكري في النحّات الذي يأخذ المادة الخام أو لوحة من الفخار أو الجبس ليُكوّن منها عملاً فنيّاً: إنه يبدأ بـ«رؤية» الإمكانيات، ثم يتخيل النتيجة النهائية، ثم يبدأ العمل. المادة الخام هي موقفك. إن طفلك يُكوّن فكرته عن نفسه بالاعتماد على هذا الموقف إلى حدّ كبير، فإن كنت واثقة من نجاحه فإنه لن يشك في قدراته؛ فمن ثقتك به تتولد ثقته بنفسه، وتفاؤله، وروح المبادرة لديه.

كثير من الآباء يرتكبون الخطأ ذاته بتصديق كل سلبية يراقبونها من الخارج، فإن أبدى أحد الأطفال علامة على النجاح يعتقدون بجدارته، أما إن كان العكس هو الصحيح فإنهم يعتقدون بأنه سيكون غير مؤهل للنجاح. باختصار: الكرة دائماً في معسكر الطفل، بينما يبقى الوالد جالساً في كرسي الحَكَم. يُعتبر موقف الوالدين دائماً نتيجة لنجاح الطفل أو إخفاقه، بينما هو السبب غالباً. إن أردت أن ينجح طفلك في الحياة فعليك أن تتخلي عن تصرفاتك السلبية وعن تصوراتك ذات الاتجاه الواحد.

سيقول أغلب الآباء: "لقد قدَّمت لطفلي كل ما يحتاجه واشتريت له كتباً وألعاباً... ماذا أستطيع أن أفعل أكثر من ذلك؟". سأردّ عن هذا السؤال بسؤال آخر: ماذا كان موقفك ولغتك الجسدية عندما قدَّمت هذه الأدوات التعليمية لطفلك؟ هل عبَّرت عن اهتمام

مخلص باستعمالها؟ أركز على كلمة «**مخلص**» لأنك ربما أبديت اهتماماً حين شجعت طفلك ودعمته، لكن هل كان تصرفك مستنداً إلى ثقة مطلقة بقدراته؟ إن الطفل حسّاس جداً لدرجة صوتك وطريقة تعبيرك ورسائلك الجسدية، فكلمات التشجيع القوية الصادرة منك وابتسامتك العريضة تكوّنان بالنسبة إليه موقفاً قوياً. إنه يستطيع التمييز بين المديح المخلص والتملق، مهما كان متخفيّاً. تألق عينيك قد يعني له أكثر كثيراً من الكلمات، وإلا فإنك قد تخاطرين بالإضرار الجذري لتقديره لنفسه وقدرته على النجاح. وهذا يقودني إلى تصور «اعتقد ثم اعمل». إذا كان طفلك **واثقاً** من أنه يستطيع النجاح فسوف **يعمل** مثل شخص ناجح.

القائمة التالية تكوّن اثنتي عشرة وصية لازمة لتحسين موقفك من طفلك.

<u>أعتقد بكل إخلاص أن طفلي:</u>

١- ذكي
٢- كُفء
٣- مبدع
٤- حيوي (يقظ)
٥- متعطش للمعرفة
٦- رياضي
٧- نشيط (محب للعمل)
٨- متعاون
٩- حسّاس
١٠- مستقل

١١- جميل

١٢- سعيد

إذا تذكرت دائماً هذه الوصايا السابقة وكنت واثقة منها وأثبتّ هذا الإخلاص بتصرف حنون، فسوف يحلق طفلك بجناحيه.

ما يجعلني أُصرّ كثيراً على ضرورة إظهار الحب والعواطف هو أن هذا يجنّبنا دائماً خطر التوقعات المفرطة من قِبَل الآباء، فإن لم يستطع طفلك تلبية مقاييسك المرتفعة جداً فسينتهي إلى الكآبة وفقدان الثقة بنفسه. إن قلقه الدائم من ألاّ يكون على المستوى المطلوب يُفقده التركيز ويطور في نفسه شعوراً بالإخفاق، وصورته عن نفسه لن تصل مطلقاً لتحقيق طموحاته. سيعتبر نفسه فاشلاً، وسيفقد كل حماسة وكل حافز، وستتضاءل قدراته بشكل ملحوظ. بدلاً من أن تكون إخفاقاته مجرد دروس يستفيد منها لمستقبل أيامه ستبدو له دليلاً ملموساً على ضعف قدراته، ولن يفيده اللوم والعقوبات إلا في تأكيد هذه الفكرة. وعلى العكس من ذلك، إذا تبنّيت موقفاً إيجابيّاً دون تحديد هدف بعيد المنال فيمكن لطفلك أن يعمل بكل حرية، دون الجري خلف صورة غير قابلة للتحقيق. أكرر مرة أخرى: موقف طفلك من نفسه ينبع من موقفك أنت، فإن كنت مقتنعة بامتلاكه مواهب متفردة فسوف يطورها بشكل طبيعي بلا جهد، وستجدين أن ثقته بنفسه وتقديره الشخصي ينتجان الروائع، ويستيقظ العبقري في داخله.

* * *

-١٤-

قوة الدافع

ما الذي يدفع الناس في حالات الزلازل والعواصف والكوارث إلى تشمير الأكمام وإلى الاستمرار؟ إنها طاقة قويّة، اندفاع إرادي نسميه «الدافع». عندما تُنعش هذه القوة الداخلية العلماء فإنهم يضيئون العالم باكتشافاتهم. هذا الدافع هو الذي جعل توماس أديسون يتجاوز عشرة آلاف إخفاق قبل أن يصل إلى ابتكار المصباح الكهربائي، والأمثلة المشابهة لا نهاية لها. أما على المستوى الشخصي فإن الدوافع ترفعنا من المستوى العادي إلى الإبداع؛ إنها هذه القوة الفائقة التي تجعلنا نتجاهل كل شكوكنا ونؤمن بقدراتنا. وأنا أحمل لك خبراً رائعاً، وهو أن طفلك مزوَّد بمثل هذه الدوافع الفطرية. للأسف فإن ظروف الحياة التي ترهقنا منذ الطفولة تقودنا أحياناً إلى تقدير متدنّ لأنفسنا، من الشجاعة إلى الإحباط.

لتطوير دوافع طفلك الطبيعية إلى أقصى حد من الضروري اتّباع النصائح الست التالية:

١- وفري له جوّاً عائليّاً صحيّاً ومحمّساً.

٢- احرصي على أن يتتبع عقلك وعقله دائماً الأهداف الإيجابية.

٣- عاشري أشخاصاً يوحون بالتفاؤل ويدفعون إلى العمل. لا تتأثري بالأفكار السلبية وبمن يحاول إحباطك.

٤- استعيني باقتراحات إيجابية ذاتية لتنشيط دوافعك ودوافع طفلك.

٥- لا تحاولي مطلقاً أن تسيطري على دماغ طفلك. على العكس من ذلك، شجعيه دائماً على الاستقلال.

٦- أدخلي طفلك إلى عالم الأشخاص المهمّين: من مخترعين ومكتشفين وعلماء وأبطال تاريخيين.

عندما نجد أن دوافع الطفل قوية يكون الوالدان قد أثبتا موقفهما الإيجابي منه. إنهما يشجعانه في كل أعماله. اسألي نفسك:

- ما مقدار مساهمتك؟
- هل كانت ردة فعلك في يوم من الأيام حيادية تجاه إنجازات طفلك؟
- هل عاقبت طفلك يوماً من أجل إخفاق؟
- هل أنّبت طفلك أو حقّرته يوماً ما أمام مجتمع؟
- هل سخرت منه يوماً أو من مميزاته؟
- هل تتابعين تربيته بطريقة مطلقة؟
- هل طالبته بمستوى من الامتياز قد يبدو له غيرَ قابل للتحقيق؟

كل النقاط السابقة تكشف عن ردود فعل سلبية تؤدي إلى تدنّي دوافع طفلك. إن عدم الاهتمام واللامبالاة مما يعيق التقدم، والسخرية والإهانة تسبّبان الحقد والضغينة، والعقوبات والآمال المفرطة تقيد حركة الطفل... إنه بحاجة لمشاركتك ومحبتك

وتشجيعك ومديحك. هل تجدين أنني أطلب كثيراً؟ لكن لا تنسي ما يلي: كلما تقدمت في عالم العبقرية مع طفلك ستتعلمين أنت أيضاً في الوقت نفسه.

إن الدوافع الشخصية مهمة لك أنت أيضاً بقدر أهميتها لطفلك، وبنظرة إيجابية ومتفتحة تستطيعين إنشاء الظروف الضرورية لتطوير قدراته:

الشرط الأول: حرري طفلك من القيود العقلية، وشجّعي حرية التدفق لأفكاره وتصرفاته منذ طفولته المبكرة. يجب أن يكون منزلك مثل الطريق السريع، حيث تكون الحركة فيه متيسرة بسهولة دون حاجة للّوائح، إلا في التقاطعات الرئيسية! إن الإفراط في الممنوعات يقتل العبقرية، فدعي طفلك حراً؛ العالم يخصه: لقد وُجد ليكون مغامراً لا ليكون مراقَباً بحذر.

الشرط الثاني: دعي طفلك يتصرف بطريقته الخاصة. سيتردد غالباً وقد يخطئ، لكن هذه العقبات تُشكّل جزءاً من سلسلة التعلُّم. احمي طفلك من توقع النجاح التام من أول محاولة؛ مثلاً: عندما أتمت ليتا عامها الثاني عشر أرادت تعلم الطبخ، فطلبت مساعدة أمها المشهورة بمهارتها في فن الطبخ. ولم يتمّا أكثر من ساعة من العمل حين رمت ليتا مريلة الطبخ وخرجت من المطبخ تتفجر من الغضب، وهي تقسم بأنها لن تقرب موقداً في حياتها. فما سبب ذلك؟ لقد أصرت أمها على أن تتبع نصائحها حرفياً: يجب أن يُقطع البصل بهذه الطريقة، ويجب أن تكون سماكة دوائر الجزر بهذا المقدار... هذه التفصيلات كلها تساهم في الاستمتاع بالطبخ بالتأكيد، لكن ماذا لو حاولت الأم ترك ابنتها تجرب وحدها قليلاً؟ ربما لا تكون النتيجة

ممتازة على المستوى المطبخي، لكن السعادة في عيني ليتا كانت ستعوض هذه السلبية بالتأكيد، وأهم شيء أنها ستملك الرغبة في الاستمرار.

الشرط الثالث: لا يوجد إخفاق حقيقيّ في الحياة، ومع ذلك فقد يتأذى طفلك من ارتكابه خطأ ما. إن هفوة طفل لن تقلب العالم، فلماذا نعطيها كل هذه الأهمية؟ يجب أن يكون رد فعلك إيجابياً، ولا تفقدي الأمل لأنه لا يوجد سبب لذلك بكل بساطة، وتذكري أن لكل الأخطاء جانباً إيجابياً: إنها تعطي الطفل الفرصة ليتعلم، وسينجح في المرة القادمة. قد يكون الخطأ أيضاً بالغ النفع، فقد يسكب عالِمٌ أو باحثٌ مادةً كيماوية غير صحيحة في أنبوب الاختبار الذي يمسكه... فيكتشف شيئاً لم يكن يتوقعه. لا تلومي طفلك مطلقاً على «إخفاقاته» المزعومة.

الشرط الرابع: عندما يبدأ طفلك بالكتابة بقلم الحبر قد يخاطر بسكب بقع من الحبر على دفتره. لا يقلقك ذلك! لا تلوميه، فقد فعلت ذلك أنت أيضاً بالتأكيد عندما كنت في عمره. بدلاً من ذلك، علميه بلطف كيف يستخدم الورق النشّاف وكيف يمسك بالقلم. إنك تثبتين له بهدوئك وجود حلّ دائماً، وفي المرة القادمة ربما يسكب بقعاً من الحبر على دفتره، لكن ذلك لن يوقف دوافعه. يملك الأطفال موهبة فطرية في الرغبة بعمل الأشياء جيداً، وبالتعلم سيجد طفلك طريقة ليصل إلى الإتقان، فقد يستطيع مثلاً التمرن على دفتر خارجي قبل كتابته على دفتره النظيف. المهم أن يفعل ذلك بنفسه، حتى لو فعله بشكل سيء. دعيه يكتشف حدوده الخاصة ليتجاوزها نحو الأفضل.

الشرط الخامس: قد يرتكب طفلك أفعالاً تجدينها حمقاء أو مستوجِبة للّوم في أثناء تعلمه الاستقلال. دعيه يتابع، فأنت لن تنجحي إلا في إلجامه لو أنك تدخلت في هذه المرحلة، وسوف تحددين تطوره العقلي والشعوري بذلك. وإن كنت مخلصة مع نفسك قليلاً ستلاحظين أن ما كنت تجدينه مستحقاً للّوم ليس خطيراً إلى هذه الدرجة، بل هو أمر هين.

الشرط السادس: تذكري أن طفلك كائن وشخص مستقل ومزوَّد بأفكار ومشاعر خاصة به، فلا تعتبريه أبداً وسيلة لإرضاء طموحاتك الخائبة. على سبيل المثال: ربما كنت تطمحين في صغرك إلى أن تكوني طبيبة لكن الظروف المالية صرفتك عن حلمك هذا، ولعلك ما زلت تحملين في قلبك هذا الحلم، فلا تفرضيه على أبنائك. دعيهم يقررون أهدافهم بأنفسهم، ولعل واحداً منهم يرغب في أن يغدو طبيباً، لكن يجب أن يكون هذا القرار نابعاً منه وليس منك.

الشرط السابع: نحتاج جميعاً إلى تحديد أهداف لحياتنا، فهي تساعدنا على المثابرة في الطريق الصحيح. باختصار: إن تحديد الهدف يُنتج الدافع، فاحرصي دوماً على أن يكون لطفلك هدف محدد أمام عينيه، لكن اطرحي على نفسك الأسئلة التالية:

١- هل يتمنى طفلك فعلاً تحقيق هذا الهدف؟ ليس ضرورياً مثلاً إجباره على قراءة كتاب عندما يكون راغباً في الكتابة.

٢- هل يرى طفلك نفسه جديراً بتحقيق هذا الهدف؟ إن كان الأمر كذلك فاستمرّي، وإن كان غير ذلك فلا تضغطي عليه كثيراً.

غيّري طريقتك أو انتقلي إلى السؤال التالي.

٣- هل حددت هدفاً في وسعه الوصول إليه؟ التدرج مرحلةً مرحلةً هنا قد يظهر مفيداً جداً، فكل نجاح في مرحلة يدفع الطفل إلى تجاوز المرحلة التالية لها. حاولي أن لا تستعملي مطلقاً كلمة «مستحيل» أمام طفلك، فلا يبقى أمامه أي شيء مستحيلاً. سوف يحتاج طفلك إلى نصائحك الواضحة ومساعدتك للنجاح، وهذا الأسلوب الذي يتلخص في تحديد أهداف معينة يمكن استخدامه مع البالغين أيضاً.

لقد كانت إحدى صديقاتي تعاني مشكلة كبيرة في زيادة الوزن: كان وزنها زائداً لدرجة أن صحتها كانت مهدَّدة، فذهبت لزيارة طبيبتها التي فحصتها بدقة قبل أن تكتب لها الوصفة. فسألتها وهي تطوي الورقة بعناية: كم مرة عليّ أن أستخدم هذا الدواء؟ ثم وضعتها في حقيبتها دون أن تُكلف نفسها عناء النظر إليها. فأجابتها الطبيبة: أكثر ما تستطيعين، وأنا واثقة من أنك ستصبحين أفضل في أقرب وقت، لكن عليك اتباع وصفتي بكل دقة.

أجابت: "حسناً"، ثم أسرعت إلى الصيدلية، حيث كان الصيدلي رجلاً ذا خبرة بكل تأكيد، إذ ألقى نظرة على الوصفة ثم قال: أنت محظوظة، فهذا العلاج هو الأقل كلفة، حتى إنه مجاني تماماً ويمكنك صنعه بنفسه في منزلك. أخذت ورقتها مرتبكة وقرأت: "حمية غذائية وتمارين يومية حتى تفقدي ثلاثين كيلوغراماً".

عندما عادت إلى المنزل ألصقت على باب برّادها ملاحظة كتبت عليها: «ثلاثون كيلوغراماً». ومنذ ذلك اليوم ألزمت نفسها ببرنامج قاس للحمية والتمارين، لكنها أصيبت بالرعب بعد يومين،

إذ كيف سيكون بإمكانها أن تفقد ثلاثين كيلوغراماً؟ خطرت لها فكرة: ستعطي نفسها أهدافاً أكثر تواضعاً لتتجاوزها مرحلة بعد مرحلة، وهكذا قررت أن تضع ورقة عمل: "ثلاثة كيلوغرامات على الأقل في الشهر الأول كبداية". ألصقت الجدول على باب البرّاد وبدأت العمل بعد تحديد الأهداف، وبعد ذلك صارت تشعر بإنجازها وتشعر برغبة حقيقية في الاستمرار على هذا الطريق عندما كانت تكتب على الجدول الوزنَ المفقود في كل شهر. لقد قابلتها بعد أن فقدت عشرة كيلوغرامات حيث كانت حماستها ما زالت في أوجها، وقالت لي: سأفقد ثلاثين كيلوغراماً، وربما أكثر.

عندما حددت أهدافاً واقعية وجدت التنفيذ فعّالاً ومسلّياً معاً، ليس فقط لأن الهدف النهائي لم يعد مستحيلاً، بل أيضاً لأنها لم تعد تخشى النظر أبعد منه. بالطريقة نفسها تستطيعين إنشاء جدول أو ورقة عمل لطفلك، وهكذا يستطيع قياس تقدمه بطريقة واقعية.

الشرط الثامن: من مميزات العبقري أن يكون «عالميّاً»، فدعي طفلك يحاول اختبار كل شيء. إن معرفة القراءة والكتابة أمر ممتاز، لكن لا ترددي بتهنئة طفلك على كل إنجازاته. مثلاً يمكنك إرساله لشراء الخبز أو الحليب لمساعدته على الاستقلال، فمثل هذه المبادرات تُشكّل جزءاً من نموه العقلي وتهيّئه لحياة قادرة على المغامرة. ينصح عالم النفس ديفيد لويس بـ«تشجيع الطفل على إنجاز مهام منزلية، صبيّاً كان أم بنتاً»، ثم يشرح بعد ذلك: "لقد أظهرت دراسات أن هذه الأعمال ترضي الرغبة في الفعّالية إلى أقصى حد".

لقد ذكرت كل الشروط الضرورية لتقوية دوافع طفلك، لكن

عليك -بصفتك أمّاً- تحقيق هدف نهائي، وهو التوازن. ويجب أيضاً أن لا تطلبي كثيراً من طفلك ولا تحاولي أن تفرطي في دفعه، فقد يقود الإفراط في المتطلبات إلى قلة الصبر وإلى الكبت والعدوانية. إن هدفك (الذي يجب أن تتذكريه دائماً) هو تربية عبقري ذي دوافع، هذا أمر مؤكد، لكنه يجب أن يكون عبقرياً متوازناً وسعيداً قبل كل شيء.



-١٥-

النَّهِم إلى المعرفة

من هو المتعطش إلى المعرفة؟ لو راقبت جيداً هؤلاء الأشخاص في جميع البيئات ومن كل الأعمار فسوف تعرفينهم بسهولة، من أعينهم اليقظة ومن حماستهم ومن أصواتهم المرتجّة المتذبذبة. إنهم طلاب علم دائبون ممتلئون بالأفكار والحماسة.

أعرف رجلاً في هذه الحالة يبلغ من العمر خمسة وثمانين عاماً. إنه يدير شركته الصغيرة، وقد سافر وطوّف في العالم أجمع. لقد قال لي يوماً: "الصين هي البلد الوحيد الذي لم أزره حتى الآن، لكنني أنوي سدّ هذا النقص هذا العام، فأنا أحب الذهاب إليها قبل أن أصبح عجوزاً جداً". إنه يقرأ خمس صحف في اليوم، ويستلم رسائل كثيرة، ويزور معارض وينظم رحلات، ويحضر مؤتمرات ويحرر مقالات... مغامرته الأخيرة كانت دراسة الطب التجانسي (علاج الداء بالداء)، وهو يقول: "نحن نتعلم جديداً كل يوم".

هذا هو التعطش للمعرفة. إذا شجّعت طفلك على المتابعة في هذا الطريق منذ طفولته المبكرة فإنك تمنحينه هدية لن يتخلى عنها أبداً بعد ذلك، فبفضل هذه القابلية سيستطيع الرؤية الواسعة وتبنّي موقف «جريء». إن نهم المعرفة ليس إلا ولادة للعبقري.

تخيلي نفسك جالسة فوق غيمة والسماء المليئة بالنجوم فوقك، وبمدّ يدك تستطيعين لمس هذه الأنوار الصغيرة التي تتلألأ فوق رأسك. هذا يشبه عالم المعرفة: قبّة السماء مرصَّعة بخرزات برّاقة، والآن التقطيها واحدة واحدة. افتحي يدك واختبري ما تحتويه كل نجمة، فبفضلها تستطيعين إضاءة حياة طفلك.

القاعدة الثلاثية للتثبيت

أولاً: بحث

إليك طريقة ممتازة لتطبيق هذا التمرين: اعتماد أيام العطل؛ الأعياد وسواها من المناسبات. فلتكن هذه الأيام التي ينتظرها طفلك بفارغ الصبر موضوعاً لنقاش مثير، مثلاً: اطلبي منه التفكير بما تمثّله هدنة ١٩١٨ أو كيف كان يعيش الفلاحون في عصر الثورة الفرنسية[١]...

ثانياً: تقوية

ابذلي جهدك في تطبيق المعارف المكتسَبة في الحياة اليومية أو العائلية. تستطيعين مثلاً إخراج ألبومات الصور القديمة، ثم احكي لطفلك عن أجداده الذين عاشوا في القرن الماضي أو في عصر الحرب العالمية الأولى... ابذلي جهدك للعثور على رابط بين الأحداث التاريخية والحياة اليومية.

ثالثاً: مراجعة

اسألي طفلك خلال العشاء عن عادات الناس وحياتهم في

---

(١) ومثلها مناسباتنا الدينية والتاريخية والوطنية، كعيدَي الفطر والأضحى أو ذكرى الهجرة أو يوم الاستقلال، إلخ (المترجمة).

القرن الماضي، وساعديه على عقد المقارنات بين حياته اليوم وحياتهم عندئذ. يمكنك أيضاً استغلال يوم مميز سعيد في حياة طفلك، يوم مولده مثلاً، حيث تقرئين له ملخصات صغيرة عن حياة شخصيات مشهورة وُلدت في نفس يوم ميلاده. وهكذا يبدأ عالم العبقرية السحري بالتفتح أمام عينيه، وهو أمر يقوّي صورته عن نفسه بشكل إيجابي.

ألعاب الكلمات في محيط العائلة

لا تضيعي أبداً فرصة اللعب مع الكلمات. اخترعي كلمات مسجوعة أو جُمَلاً ذات كلمات مكررة مثل "شريف اشترى شرشفاً وشرف اشترى شرشفاً. قسنا شرشف شريف على شرشف شرف، فوجدنا شرشف شريف أطول من شرشف شرف". أعيدي بسرعة أكثر فأكثر دون تردد أو تلكؤ. واخترعي ألعاباً جديدة: خذي اسم كل فرد من أفراد العائلة على حدة وكوّني أكبر عدد ممكن من الكلمات من هذه الأحرف مجتمعة، وحاولي جمع أسمائكم اثنين اثنين في البداية، ثم الكل مجتمعين.

مقدم الأخبار المرئية

اقترحي على طفلك أن يلعب دور مقدِّم الأخبار. قصّي مقالات من الجريدة اليومية، واكتبي ملاحظات عن المواضيع المهمة (لكن تجنّبي أخبار العنف)، واختاري أحداثاً محلية... من هذه الأدوات يمكن لطفلك أن يكوّن صحيفته بنفسه، ثم يقرأها أمام كل أفراد العائلة مقلداً المذيع. يمكنه أيضاً عمل فواصل إعلانية. إن إمكانيات الألعاب لا تنتهي.

دفتر العناوين

قدمي لطفلك دفتر عناوين وأرقام هواتف، ثم اطلبي منه أن يكتب فيه بعناية وبالترتيب الألفبائي الأسماء والعناوين وأرقام الهواتف لكل أعضاء وأصدقاء العائلة.

المكتبة

سيكون طفلك سعيداً بانضمامه إلى المكتبة العامة في حيّه وبامتلاكه بطاقته الخاصة التي تحمل اسمه. علّميه استخدام نظام تصنيف الكتب، وحثّيه على الذهاب بانتظام إلى المكتبة واستعارة الكتب التي يختارها.

جولة في الطبيعة

اذهبي للنزهة كلما استطعت. شجّعي طفلك على وصف ما يراه باستخدام مجموعة كبيرة من المفردات، مثلاً: الشارع الطويل الملتوي المزيَّن بالأشجار أو رائحة الجذوع الصمغية... شجعيه على استخدام جميع حواسه.

طرح أسئلة

عندما يُفرَض على طفلك كتابة تعريف لكتاب قرأه أو سماع عرض في الفصل فإنه قد يُخاطر -ما لم يجد مرشداً- بالاكتفاء بهذين العملين: القراءة والاستماع، أما «النَّهِم إلى المعرفة» فسوف يتبنّى طريقة ذات محورين: (١) التفكير بالموضوع، (٢) تحضير أسئلة.

لنتخيل أن الموضوع هو الحرب العالمية الثانية. شجّعي طفلك على التفكير بكل ما يعرفه عن الموضوع، ثم ساعديه على ابتكار

أسئلة: ما هي أسباب الحرب؟ هل كانت ضرورية؟ ما هي الأحداث التي كانت أكثر تأثيراً؟ كيف وصل النزاع إلى حياة الناس؟ كيف كانت الحدود قبل الخلاف وبعده؟

ما يميز «المتعطش إلى المعرفة» عن الطلاب الآخرين هو اهتمامه الذي لا يتوقف بكل ما يراه وموقفه العام. إنه لا يعتبر الواجب المدرسي مهمة بسيطة للإنجاز ثم النسيان في أسرع وقت، بل يستغل الفرصة لإغناء معرفته بالموضوع. وهذا الأسلوب ناجح دائماً، فالطفل يحتفظ في ذاكرته بسهولة أكبر بكل ما يتعلمه.

روابط وإسقاطات

أغلب الآباء، وكذلك الأطفال، يكتفون بـ«متابعة» التعليم المُقدَّم من المؤسسة التعليمية.

لا يكتفي «نَهِم المعرفة» بهذه المعلومات المقدَّمة له، بل يريد اكتشاف ما وراء ذلك. مثلاً: إذا قرأ نصّاً عن الكلاب البوليسية التي تستطيع متابعة أثر المجرمين بفضل حاسة الشم القوية لديها فسوف يتساءل عن هذه الموهبة التي يملكها الكلب بحيث يميز بين الروائح البشرية المختلفة، وربما يستنتج من ذلك أن كل كائن له رائحة خاصة ومتفردة. سيطرح على نفسه أسئلة: ألا توجد طريقة لوضع هذه المعلومة على الكمبيوتر كما نفعل بالنسبة لبصمات الأصابع؟ هل يملك التوأمان الرائحة نفسها؟

لنتخيل أن الطفل تعلم في المدرسة نظام الدورة الدموية للإنسان. اقترحي عليه التفكير بصيانة أو استهلاك هذه الشبكة: أي نظام غذائي هو الأفضل؟ أي نوع من التمارين؟ أي الأمراض يمكن

أن تؤثر فيه؟ وإذا قرأ نصّاً عن اختراع جديد اسأليه: كيف يمكن أن يغير هذا الاختراع حياتنا؟

وهكذا لا يكتفي الطفل بامتصاص المعلومات التي تُقدَّم له في طبق؛ بل يستخرج منها استنتاجات. إنها تعطيه فوائد مادية تُسهّل تخزينها في دماغه، وعندما يسمع مرة أخرى معلومة متعلقة بالموضوع سيفهمها بشكل أفضل من طفل اكتفى بحفظها عن ظهر قلب وغالباً ما يكون قد نسيها بعد ذلك.

نشّطي شهيته للمعرفة

لتقوية هذه الشهية التي لا تشبع للمعرفة ألفت انتباهك إلى النقاط الخمس التالية:

١- تقدير استقرائي

أصبح الأولاد حالياً يولدون وفي أيديهم هاتف بحيث لا تدهشهم رؤية هذا الاختراع، ومع ذلك يمكنك التوصل إلى تنشيط نهمهم للمعرفة بالنقاش الصحيح: تخيلي مع طفلك كيف كان يمكن أن يكون العالم بلا هاتف؟ كيف كان سيمكننا التواصل؟ ما هو التغير الذي سيطرأ على حياتنا؟

٢- أنشئي جسوراً

يعرف التلميذ المتعطش للمعرفة كيف يكوّن روابط بين معلومة جديدة وأخرى سبق له تعلمها. اقترحي عليه مثلاً أن يكتب قائمة بأوجه التشابه والاختلاف بين الهاتف والبريد الإلكتروني. إنه جدير أيضاً بتطبيق معلومة جديدة على ممارساته اليومية، فلو تعلّم مثلاً في المدرسة عن النظام القضائي فسوف يتسلى بمقارنة دور القاضي

بطريقته الخاصة في حل الخلافات.

٣- استخراج الأفكار الأساسية

عندما نقطع المشمشة نصفين نجد النواة. وبالطريقة نفسها: كلما امتُحن طفلك في موضوع يجب عليه أن يبذل جهده كي يجد عقدة المسألة. أعينيه على استخراج الفكرة المركزية، وهكذا يُقوّي فهمه ورغبته في التعلم.

٤- تصنيف المعلومات

يمكن أن يرتبك الطفل بسبب كمية المعلومات المتنوعة التي يتوجب عليه استيعابها، وقد تسيطر عليه الكآبة بسبب المحاولة اليائسة لحفظ كل هذه المعلومات. من غير المجدي إخضاع المتعطش للمعرفة لمثل هذا الامتحان، وبدلاً من ذلك شجّعيه على ترتيب المعلومات في مجموعات. مثلاً: إن كان يتلقى معلومات عن الأحياء فلا يلزمه حفظ كل أسماء الحيوانات، بل يمكنه تصنيفها إلى أسماك وبرمائيات وزواحف وطيور وثدييّات... وسيتصرف بالمثل مع أي موضوع. عندما يبذل هذا الجهد للتصنيف يرتب أفكاره ويقلل أكوام المعارف التي عليه حفظها.

٥- عمل مقارنات

إنه أحد المظاهر الأكثر تسلية في هذه الطريقة: تعلُّم ربط معلومة جديدة ببعض المعارف السابقة. إذا كان طفلك يدرس الاختلافات بين الشرايين والأوردة فحاولي هذه المقارنة: الشرايين سميكة وتحمل الدم الغني بالأكسجين من القلب، مثل تجّار أغنياء محمَّلين بالألماس يتركون مسرعين بلاط الملك (القلب)، أما الأوردة فهي أضيق وتنقل الدم الفقير بالأكسجين نحو القلب، مثل

الفقراء المساكين الذين يأتون لطرح بهائمهم عند أقدام الملك. غالباً ما تكون المقارنات مليئة بالاكتشافات، وهذا الجانب المسلي يعين الطفل على استيعاب معلومة قد تكون رتيبة مملة لو قُدِّمت بشكل آخر. شجعي عبقريّك على ابتكار مقارناته الخاصة ورواية القصص لنفسه، وسوف يستمتع بذلك ويفيده في التعلم.

تحديد أهداف

لقد وضّحتُ مميزات هذا الأسلوب في الفصل السابق. باختصار، من الحكمة غالباً التركيز على أهداف وسيطة عند السعي إلى غاية، مهما تكن هذه الغاية متواضعة. يمكنك إنشاء ورقة عمل تطلقين عليها تسمية تناسب الموضوع مثل: «دليل آني الجغرافي» أو «دليل آني التاريخي». المسافرة (طفلتك آني) تقف للاستراحة عند كل محطة (فصل) قبل الانتقال إلى التالي، لتصل إلى وجهتها النهائية بالتدريج. يمكن أن يبقى الإطار العام لورقة العمل هذه واحداً مع تنوع العناوين حسب المواضيع المطروحة، وهذا يُضاعف متعة طفلك ومتعتك معاً. وإذا ما وصل إلى فصل صعب نسبيّاً فيمكنه القدوم لاستشارتك كما لو كنت المفتش: "سيدي المفتش، أردت إخراج شيء من محفظتي لكني لم أستطع فتح القفل. هل يمكنك مساعدتي لو سمحت؟". أعينيه على إزالة تعقيد النقطة التي يستصعبها، وكلما أتقن فصلاً أعطيه بطاقة للمرحلة التالية، وعندما يجمع عدداً من البطاقات يمكنك مكافأته بهدية أو رحلة مرتبطة بالموضوع المدروس.

وسّعي أفق المعرفة

كلما زاد تعلم طفلك من النشاطات غير المدرسية زادت فرصته في تطوير شهيته للمعرفة. اصحبيه إلى معارض وزوري معه بعض

المتاحف، وتمشيا معاً وتكلما عن كل ما يمكن أن يجلب انتباهه.

تعلُّم الاستماع

شجعي طفلك على الكلام عن نشاط لم تشتركي معه فيه، مثل رحلة مدرسية، فهذا يساعده على تنشيط ذاكرته. وهكذا يمكنه التفكير بتجاربه وتعلُّم وصف الأشخاص والأحداث.

قدمي له ألبومَ صور

ألبوم الصور ضروري لنَهِم المعرفة مهما يكن عمره. يمكنه قبل دخول المدرسة مَلؤه بصوره المفضلة التي يجمعها من المجلات، وفي الصف الأول يمكنه قص الأشياء التي تبدأ بالأحرف (أ، ب، ت...)، وبعد ذلك يمكنه عمل ألبوم مخصص لرياضته المفضلة أو البلد الذي يحبه.

التعطّش للمعرفة... إنها صفة رائعة تسمح لعبقرية طفلك بالتفتح على أكمل وجه، ولهذه الصفة ميزة رائعة: إنها لا تنتهي. كثير من الأطفال الذين يشتهرون في طفولتهم بـ«نبوغهم» يصلون إلى مراحل الدراسة العليا مُرهَقين، لكن النَّهِم الحقيقي للمعرفة لا يحس بالإرهاق لأن المعرفة تبقى لعبة مشوّقة بالنسبة له. بقطف نجوم المعرفة من أجله تكونين قد سمحت لعبقريته بالتألق في سماء العبقرية.

* * *

-١٦-

ذاكرة العبقري فِلْم صغير

صُفَّ المتَّهمون للتعرف عليهم، فقد عُثر على غرض شخصي في مكان الجريمة، فشمّه الكلب البوليسي ثم انطلق في أرجاء الغرفة. نخر الكلب أمام كل متهم، ثم توقف أمام كل من تطابقت رائحته مع هذا الغرض وهزّ ذنبه وعوى فرحاً. نوديَت الضحية للتحقق نظرياً من المجرم، فنظرت إلى كل وجه وتأملته مليّاً قبل أن تعلن: "لست متأكدة"... لقد استسلمَت ذاكرتها!

لو قارنّا حاسة شم الكلب البوليسي بذاكرتنا البصرية الإنسانية، فأنا على اقتناع بأننا نريد جميعاً أن تكون قدرتنا على التذكر بكفاءة قدرة الكلب على الشم. عندما أسمع قائلاً يقول: "لا أملك قدرة على تذكر الوجوه" أو "أنا لا أتذكر الأسماء، لكن الوجوه تبقى محفورة في ذاكرتي" أقول لنفسي إننا ننعت ذاكرتنا بكثير من قلة التقدير.

وعندما يُحضّر تلميذ صغير لامتحان ويجيب عليه إجابات سيئة يكون توضيح الكبار جاهزاً في الحال: "ذاكرة ضعيفة". فيتمسك التلميذ بهذه الحجة فرحاً بإيجاد باب للخلاص ثم يعود إليها في مستقبل أيامه لتعليل إخفاقاته. ونستمر هكذا، معترفين بعدم امتلاك ذاكرة لحفظ الأرقام مثلاً، بل ربما كنا غير قادرين على تذكر ما

تناولناه على الفطور... ونعتبر هذه الإعاقة طبيعية. مع أننا بحاجة كبيرة لذاكرة قوية، وطفلنا يحتاجها أكثر.

نستطيع بالتأكيد الاستياء من نظام تعليم يتطلب الكثير من الذاكرة والقليل من الفهم، ونستطيع أيضاً أن نقول إن النظام بحاجة إلى إعادة النظر بشكل عام... لكن لو اخترنا إبقاء أطفالنا في هذه الدائرة التقليدية فيجب مساعدتهم على تطوير المواهب الضرورية لتجاوز صعوبات التذكر. إن الذاكرة الجيدة مؤهّل أساسي للنجاح، فقد يعرف طفلك حل مسألة رياضية بجدارة، لكن إن لم يكن قادراً على تذكر السنة التي وضع فيها الإنسان قدمه على القمر لأول مرة، أو في أي تاريخ انتهت الحرب العالمية الثانية، أو اسم عاصمة أستراليا، فستكون نتيجته المدرسية متدنية بشكل ملحوظ.

إن الذاكرة تساعدنا على التعامل الفكري مع سيل لامتناه من المعلومات، رغم أن معظمنا غير مدركين أن الناس كلهم يولدون بقدرات متماثلة من هذه الناحية. لو قلت لك إن الذاكرة الضعيفة غير موجودة فقد تحاولين إعطاء أمثلة لإثبات خطئي، لكن اعلمي أن علماء نفس بارزين متخصصين في الذاكرة يوافقونني هذا الرأي. إن الدماغ هبة رائعة وهبها لنا الخالق، وهي تشكّل مكتبة ضخمة تضم عدداً هائلاً من «الفُلَيمات»، وإحدى سِماتها الأكثر إدهاشاً هي نظام الاحتفاظ بالمعلومات؛ فالدماغ يحتوي على تعرجات رمادية تحوي أطناناً من المعلومات جاهزة للاسترجاع في أي وقت: إذ يكفي فوحان رائحة عطرية ليستعيد مشهدٌ من مشاهد طفولتك حيويّتَه فجأة.

وطفلك أيضاً يمتلك ذاكرة مدهشة مثل التي تمتلكين، وكل

ما عليه فعله هو تمرينها حتى يمكنه استخدامها في أي وقت، فكل عضو بحاجة إلى التمرين ليتطور إلى أقصى درجة ممكنة.

أولاً: لا تضعي في دماغ طفلك أبداً أنه يمتلك ذاكرة ضعيفة، فهذا خطأ كبير. إن كان قد نسي شيئاً فلا تستعملي أبداً عبارات مثل: "ألا تتذكر؟" أو "هل نسيت بهذه السرعة؟"، بل استعملي عبارات أكثر إيجابية: "لكن بلى، أنت تتذكر. فكّر جيداً..." أو "ستتذكر، بإمكانك ذلك".

ثانياً: تذكري أننا لا نتعلم جميعنا بالطريقة نفسها، فالبعض يتذكر ما يسمعه والبعض الآخر ما يراه. يمكننا مقارنة جزء «ذاكرة» في دماغنا بقماش معلق على حبل غسيل بواسطة مشابك الغسيل. إن لم تستعملي سوى مشبك واحد لقماش كبير فلن يبقى معلقاً أو لن ينشف جيداً، لكن لو استعملت العدد المناسب من المشابك فستنالين النتيجة المرجوَّة. فلنطبق هذه الصورة على الذاكرة، على الذاكرة السمعية مثلاً. إذا طلبت من طفلك ترديد كلمة «قسطنطينيّة» فقد يتعثر لأن «المشابك» في دماغه لم تنجح باستيعابها، لكن لو جزّأت الكلمة إلى عدة مقاطع «قس» «طن» «طي» «ني» «ية»، ونطقتها بشكل بطيء وواضح، فسوف ينجح دماغه في استيعاب كل جزئية.

يمكننا تطبيق المبدأ نفسه على الذاكرة البصرية؛ يمكنك تدريب دماغ طفلك على التركيز أولاً على التفاصيل حتى تصبح الصورة بمجملها «مسجَّلة». لا لغز في هذا التمرين؛ توجد طريقتان حاسمتان جداً في تسجيل «الفُلَيمات» داخل دماغ طفلك: طريقة

الذاكرة السمعية، وطريقة الذاكرة البصرية. استخدمي مع طفلك الطريقة الأكثر ملاءمة له أو حاولي دمج الطريقتين معاً.

الطريقة السمعية والطريقة البصرية

١- الذاكرة السمعية:

يقول جون يول، البروفسور في جامعة كولومبيا البريطانية في فانكوفر: "أفضل طريقة لتذكر معلومة هي استحضارها في الذاكرة في الحال، فبتسجيل المعطيات وإعادتها بسرعة ننشئ في الدماغ طرق دخول فعّالة". مثلاً عندما لفظ طفلك كلمة «قس طن طي ني ية» كان عليك أن تطلبي منه إعادتها فوراً.

ومن الأساليب الجيدة اعتماد نوع من النشاط اليومي تقترحين فيه على الطفل سرد أحداث اليوم، وإذا ما وجدته مثقلاً بالواجبات المدرسية في أحد الأيام فتكفي محادثة قصيرة لذلك اليوم. اطلبي منه مثلاً إخبارك بما تعلمه في درس الرياضيات، وشجعيه بلطف على أن يصبح أكثر فأكثر تحديداً. قولي له مثلاً: "كسور؟ ما هي؟ تبدو شديدة الأهمية. هل يمكنك أن توضح لي طريقة عملها؟"، ثم أوليه انتباهك في أثناء شرحه. قد يقول لرفاقه في اليوم التالي: "أمي جاهلة بالفعل؛ فهي لا تعرف ما هو الكسر!" لكنه ثمن صغير لا بد من دفعه.

أعرف أماً كانت تطلب من ابنتها ملخصات في جميع المواد، فتقول لها مثلاً: ماذا درست اليوم في الجغرافيا؟ فتجيب مثلاً: غرينلاند.

- غرينلاند؟ كيف تتهجّين هذه الكلمة؟ هل يمكنك كتابتها؟

فتكتبها الطفلة، وعلى الفور يدور حديث حول غرينلاند، فتشرح الطفلة قائلة إنها أكبر جزيرة في العالم وإنها توجد في المحيط المتجمد الشمالي، إلخ.

إنها تُنظم معلوماتها وتحفظها حينما تتذكر هكذا ما درسته على الفور.

٢- الذاكرة البصرية

في الفصل الحادي عشر شرحتُ كيفية تطوير ذاكرة طفلك عبر المناقشة انطلاقاً من رسم مستخرَج من كتابه المفضل، وهي طريقة «الفِلْم الداخلي». قد ترغبين في عودة سريعة إلى الوراء لإعادة قراءة ذلك الجزء قبل متابعة القراءة، لأنه يخص أيضاً أسلوب الذاكرة البصرية التي تؤدي بشكل شديد الأهمية إلى تقوية «قدرة الطفل على التخزين». تستطيعين مثلاً أن تُريه الأحرف التي تُكوّن كلمة «قسطنطينية»، فالذاكرة تصبح وسيلة فعّالة جداً بدعمها هكذا عن طريق السمع والبصر.

طريق المعرفة عند السيد كريشنان

يحتفظ التلاميذ القدماء لثانوية مشهورة في بومباي في الهند بذكرى مؤثرة ومحترَمة لأستاذهم في التاريخ، السيد كريشنان. إنهم يتذكرون مفاجأتهم باكتشافهم هذا الأستاذ الشاب ببذلته القاتمة وشعره الفاحم ووجهه الناعم، وهم يتفقون جميعاً على القول بأن درس التاريخ كان قبل وصوله عبئاً ثقيلاً. لقد ابتكر السيد كريشنان طريقة جديدة حسّنت بشكل ملحوظ قدرتهم على حفظ التواريخ.

لقد رسم على اللوح طريقاً متعرجاً، ضيقاً في الأعلى، ثم

يهبط ملتوياً ليزيد قليلاً في الاتساع حتى قاعدة اللوح. لقد ولَّدَ لدى التلاميذ انطباعاً بأنهم يرون طريقاً يأتي إليهم من بعيد، ثم قطع السيد كريشنان هذا الطريق بخطوط أفقية، وكان يسجل على كل خطّ تاريخاً مهماً أو حدثاً تاريخيّاً. كان يسجلها ابتداء من الأعلى في الترتيب الزمني. نسخ التلاميذ هذا الرسم في دفاترهم وهم يكتمون بضع ضحكات مرتابة، لكن لم يَمضِ وقت طويل حتى لاحظوا أن حفظ التواريخ لم يعد يشكل عبئاً وإنما أصبح لعبة أطفال.

لم يكتَفِ السيد كريشنان بإعطائهم طريقة فعّالة لتذكر سلسلة أعداد، وإنما عرف كيف يستخدم قدراتهم البصرية بمهارة لإغناء معارفهم. لقد استطاعوا مثلاً رؤية التاريخ ١٨٠٧ بداية للطريق الذي ربطوا به بسهولة كلمات «الهند، أول محاولة للاستقلال». فعّالية هذه الطريقة ترتكز على عدة عوامل:

١ - يتذكر التلاميذ المعلومات بشكل أفضل عندما تُقدَّم لهم بطريقة متسلسلة زمنياً.

٢- يساعدهم الطريق المتعرج على الربط البصري بين التاريخ والحدث المناسب له، فيتذكرون عند الامتحان مكان التاريخ والحدث المسجَّل بجانبه (أو العكس).

٣- يساعدهم الطريق أيضاً على تذكر الحدث الذي يأتي قبل حدث آخر أو بعده، وهكذا يتعلم الطلاب إنشاء روابط منطقية ويكفّ التاريخ عن كونه بالنسبة لهم سلسلة من الأحداث التي لا رابط بينها.

٤- لم يعد يتوجب على الطلاب تذكر سلسلة عويصة من التواريخ، فهذه الطريقة تقوّي بشكلها الجذاب قابليتهم للتعلم.

٥- بإعادة الرسم على دفاترهم ينحت التلاميذ المعلومات في أدمغتهم، فيصبحون معلّمي أنفسهم.

٦- ما زال «طريق السيد كريشنان» فعّالاً حتى اليوم، فالتلاميذ يستطيعون في أي وقت التحليق فوق التواريخ الأساسية بلمحة بصر، والمراجعة صارت أمراً سهلاً لا يحتاج إلى أي مجهود.

يمكن استخدام طريق السيد كريشنان في كل المواضيع. إنه أسلوب يساعد الدماغ على استيعاب المعطيات بطريقة سهلة وفعّالة، فابدئي باستخدامه إلى جانب الطريقتين السمعية والبصرية المعروضتين سابقاً، فيطور طفلك موهبته التذكرية إلى أقصى حد. إن الذاكرة الجيدة هي أفضل صديقة للطفل، إنها مؤهل زائد بعد الفهم ونهم المعرفة، وهي رابط حيوي بين كل الكفاءات التي تؤدي إلى تفجر العبقرية.

* * *

-١٧-

دعائم للعبقري

يشبه العبقري حوضَ ماء مزوَّداً بنافورة، فالماء يجري دون توقف ثم يعود إلى الجري لينبثق بقوة... لكن قبل ذلك أنشأ أحد المهندسين شبكة أنابيب وأوعية متصلة تتوافق مع قوانين الفيزياء والضغط الجوّي. بالطريقة ذاتها يحتاج العبقري إلى العناية والإرشاد لتتفجر موهبته في الوقت المنتظر. يمكنك أنت أن تكوني المهندس وتنشئي الدعائم الضرورية، ثم تراجعي قليلاً لتتيحي لعبقرية طفلك الظهور بنمطها الخاص، واحرصي على أن لا يكون هذا الدفق المستمر خاضعاً لتيار معاكس (كالكآبة أو برود الهمة).

فيما يلي بضعة اقتراحات لمساعدتك:

تنظيم الوقت

لقد سبق وأمّنت لطفلك ركناً مريحاً وجيد الإضاءة ليعمل فيه؛ إنه يمتلك كرسيه الخاص ومكتبه وأوراقه وأقلامه وكل أدواته الضرورية، والآن عليك الاهتمام بتنظيم وقته للدراسة دون أن يبدو له ذلك عبئاً ثقيلاً.

إن الشرب والأكل واللعب وممارسات إبداعية أخرى، هذه كلها تشكّل جزءاً من الحياة، والأمر مماثل بالنسبة للدراسة، فيجب

على الطفل اعتبارها مسلية بالقدر نفسه. للتوصل إلى هذا التقريب الإيجابي راقبي أولاً كيف يُمضي طفلك وقته. اطلبي منه كتابة مذكراته لبضعة أيام، كل ساعة تقريباً. اجعليه يسجل ماذا فعل، وقد يكون هو أول من يُفاجَأ بكمية الوقت الضائع.

كان أحد أصدقائي (ويعمل مصدّراً للقماش) يكاد يقطع الأمل أمام الأعباء الملقاة على عاتقه، وقد أسرّ إليّ قائلاً: "لقد وصلت إلى حد أنني كدت أهمل أهم المجالات في حياتي". وأخيراً ألجأه إرهاقه الشديد بسبب الأعباء المتراكمة إلى حبس نفسه في مكتبه، وشرب كوباً من الشاي ليهدأ، وعندما أصبح ذهنه صافياً كتب على ورقة كل ما عليه إنجازه لذلك اليوم. يقول: "عندما أعدت قراءة القائمة فوجئت بملاحظتي أنني -رغم كل الأعمال المتوجِّب عليّ إنجازها- لم أنجز عملاً واحداً طوال اليوم"! عندئذ حرّرَ بذهن صاف برنامجاً للغد، وفي اليوم التالي استطاع إنجاز كل ما كتبه في القائمة. منذ ذلك الوقت احتفظ ببرنامج يومي حاضر دائماً فوق مكتبه وقابل للتصحيح عندما تتطلب الظروف.

وكذلك طفلك، يكون غالباً مشغولاً جداً كصديقي السابق الذكر، فعنده المدرسة، والواجبات المنزلية، واللعب، والعائلة، والأصحاب، والنشاطات الرياضية... إنه بحاجة إلى تخطيط محدد ليدير وقته على أفضل وجه مع بعض المرونة التي تسمح له ببعض التغييرات في آخر دقيقة (مثل صاحبي التاجر)، وهكذا لن يحسّ مطلقاً بالحرمان من متع الحياة.

ساعدي طفلك على كتابة برنامج يومي ينظم له أوقات الراحة والتسلية والدراسة، مع قدر كاف من المرونة والقابلية للتعديل

عند الضرورة. مثلاً لو كان عند طفلتك امتحان في الرياضيات يوم الخميس وأرادت الخروج في نزهة يوم الأربعاء، كيف تتصرفين؟ يمكنك بالتأكيد تعنيفها ومطالبتها بمراجعة أخيرة، وسيكون رد فعلها على ذلك أن تحرد وتجلس على مكتبها متفجرة من الغضب، ولن تستطيع التركيز في المراجعة ولن تحرز نتيجة جيدة في الامتحان. والنتيجة أنها لم تستطع الخروج في النزهة ونالت علامة سيئة في الامتحان! وستتمتم قائلة: "أنا أكره الرياضيات"، ثم ستنزوي في موقف سلبي.

والآن لنتخيل أنك تبنّيت موقفاً مخالفاً: لو أنك رتّبت معها برنامجاً يومياً، وعندما راجعته في أول الأسبوع قلت لها: "عندك امتحان في الرياضيات يوم الخميس. لِمَ لا تدرسين جيداً يومي الإثنين والثلاثاء فتستطيعين الذهاب للنزهة يوم الأربعاء؟ بهذه الطريقة تصبحين صديقتها وشريكتها، وهي ستدرس جيداً، وتذهب للنزهة، وتحرز نتائج جيدة في امتحانها. لا يتطلب هذا كله سوى بعض التنظيم.

قد يحدث أن تأتي دعوة مفاجئة، لكن بما أن خطتك اليومية محددة مسبقاً فلن يكون عليك سوى إجراء بعض التعديلات (مثلاً يمكن لطفلك أن يؤجل ترتيب غرفته إلى الغد)، فالمرونة عنصر هام كي يفهم الطفل أنك لا تريدين أن تفرضي عليه ضغطاً مرهقاً لأنه يملك حقاً في التسلية. إنكِ تحددين الإطار العام، ولكنك تملكين مقداراً جيداً من المرونة في المحتوى.

الاستفادة من الملخصات

لقد لمسنا في الفصل الخامس عشر أهمية القدرة على استخراج الأفكار الأساسية من كتاب أو من درس، لكن لا يكفي

أن تقولي لطفلك: "اقرأ لي هذا واستخرج منه الأفكار الأساسية"، فهذا يشبه تحديد منزل صديق في حيّ مجهول دون أي مرجع. الإشارات تأتي انطلاقاً من قرينة معروفة، مثلاً لو قالت لك صديقة: "هل تعرفين فندق الحديقة؟ حسناً، امشي بعده إلى الأمام ثم انعطفي إلى اليسار..." وهكذا تفهمين المكان المطلوب لأنك تعتمدين على مكان تعرفينه مسبقاً، وهذه هي «القرينة».

في كل كتاب مدرسي جيد يوجد «مرشد» أو «خريطة» لمساعدة الطلاب على تعبيد طريقهم. ابحثي عن هذا المرشد في مقدمة الكتاب، وفي عناوين الفصول، وفي الفهارس كذلك. يمكن لطفلك البدء بالمرور على هذه «اللوحات المساعدة» التي تعطيه تصوراً لما سيدرسه، وبعد ذلك سيملأ -بقراءة الفصول- الإطارات التي سبق وكوّنها في ذهنه، ثم اطلبي من طفلك إعادة قراءة الفهرس لكي يضع ما درسه في سياقه العام. احرصي على أن لا يحاول حفظ كل شيء عن ظهر قلب بدلاً من محاولة التركيز على الفكرة الأساسية.

أنهت إحدى صديقاتي امتحانها النهائي في الاقتصاد في جامعة في بومباي. لقد عملت طويلاً، أياماً وليالي متواصلة، لكنها أصيبت بالتوتر الشديد مع اقتراب موعد الامتحان وأخذت تبكي أمام أبيها قائلة: "لن أستطيع النجاح، فأنا لا أذكر شيئاً!". كان أبوها يعمل مهندساً ميكانيكياً ولا يعرف كثيراً عن الاقتصاد، لكنه كان رجلاً مليئاً بالحكمة. طَمْأن ابنته بهدوء ثم تناول كتبها الدراسية، فكتب ملاحظات مركِّزاً على النقاط الأساسية ومُلخِّصاً كل فصل، وعندما انتهى أعطى هذه الملخصات لابنته. قرأتها جيداً ثم عادت إلى كتبها بعد ذلك، فجاءت يوم الامتحان متمكنة تماماً من المادة. إنها لم

تنجح فقط لكنها كانت الأولى في فصلها، وقد قالت لي: "لم أعرف حتى الآن كيف فعل أبي ذلك؟".

كان ذلك نجاحاً خارقاً في نظرها. في الواقع لقد علّمها أبوها -بكل بساطة- التركيز على الأفكار الأساسية في كل فصل، فوضع أمامها بذلك أول مفتاح لتحرير قدراتها؛ مخططاً أولياً واضحاً ومختَصراً في الوقت نفسه، ففهمت صديقتي وحفظت ما قرأته بشكل أفضل.

والتبويب مكمّل ممتاز لأسلوب استخراج الأفكار الأساسية. على سبيل المثال: يتعلم طفلك في درس العلوم أصنافاً متعددة من عالم الحيوان، الزواحف والأسماك والطيور، إلخ، وهذا التصنيف في «عائلات» يساعد طفلك على استيعاب المعلومات الجديدة بسرعة.

إن الأمر يتلخص في «تغذية» دماغه بمقطوعات صغيرة سهلة الهضم بدلاً من المخاطرة بخنقه عند إجباره على التهام شطيرة كاملة! ونحن نستطيع ابتكار «مجموعات» أو «عائلات» بطرق مختلفة حسب الموضوع؛ فإذا كان طفلك يدرس في التاريخ حرباً فيمكنه تصنيف الأحداث حسب مواقعها، أو حسب تواريخها، أو حسب البلدان المشتركة فيها. أما إذا كان يدرس لغة أجنبية فيمكنه توزيع الكلمات حسب تصنيفها النحوي: عَلَم، صفة، فعل، حال...

تنمية القدرة على الاستنتاج

يمكن تطوير القدرة على التحليل بطريقة سأسميها «الحوار الداخلي»، وهي تتلخص في ربط المعلومات التي يعرفها الطفل.

يمكن لطفلكَ بعد قراءة الفهرس أن يقرأ الفصل كاملاً، وهكذا يحدد العناصر الثانوية في إطارها العام. علّميه ألاّ يعتبر ما يدرسه قائمة أحداث لا رابط بينها، بل على العكس من ذلك، عليه أن يُجهد نفسه في إيجاد رابط بين المعلومات واستنتاج روابط منطقية بين المعلومات الجديدة ومعارفه السابقة.

لقد سبق وتعرضتُ في الفصول السابقة إلى الطرق الممكن تطبيقها في هذا السياق، وسأعيد الآن التذكير بها باختصار. ساعدي طفلك على التركيز؛ قد يكون ذلك عن طريق ألعاب السؤال والجواب، أو بكل بساطة بتقوية ثقته بنفسه وبقدراته. امنحيه الفرصة ليستريح بعد إنهاء كل مرحلة، وتأكدي في نهاية كل فصل أنه استخرج منه الأفكار الأساسية وأنه استطاع إيجاد رابط بينها وبين ما تعلمه مسبقاً. بالتأكيد ليس من الضروري دائماً تتبع هذا الإطار العام حرفيّاً، فقد يحتوي أحد الفصول عدة نقاط مهمة، فاسمحي للطفل بالتوقف حين يرغب في ذلك ليناقشك بشأن نقطة ما. إن هذه البادرة تظهر أنه يفكر بشكل مستقل، وهذا برهان على أن قدراته العقلية في نموّ، فشجعيه على هذا الطريق ودعيه يقرر بنفسه الطريقة التي يريد استخدامها.

لقد وُضع الإطار وحُدِّدَت الدعائم، وهكذا يمكن لنبع المعرفة أن يبدأ بالتدفق منذ الآن.

* * *

-١٨-

العبقري يكتب ملاحظات

عرضَت عليّ المديرة زيارة للمدرسة، وبينما كنا نمشي عبر الممرات ألقيتُ نظرة داخل الفصول فرأيت التلاميذ مُنحَنين على دفاترهم يكتبون ملاحظاتهم. لقد أثّر فيّ هذا المشهد كثيراً، فقد تمنيت دائماً أن أوفر لكل أطفال العالم الأشياء الأساسية في الحياة: الطعام، والمأوى، والملبس، والحب، والتربية الجيدة. وبدا أن هذه المديرة تشاركني مشاعري، فقد قالت لي ونحن نشرب كوباً من الشاي بعد انتهائنا من جولتنا: لا أعرف ما الذي أسعدني أكثر في هذه الحياة: سنوات الدراسة، أم عملي في إدارة المدرسة؟

سألتها: هل تستطيعين أن تتابعي بنفسك كل تلميذ؟

- أتمنى ذلك. إنني أستفهم من المعلمين عن نتائج الطلاب في كل مادة، وأحاول أن أسجل نقاط القوة ونقاط الضعف في كل منها، ثم أقابل الوالدِين لإعلامهم بكيفية مساعدة الأطفال الذين يلاقون صعوبات.

- وكيف تساعدينهم؟

- لاحظت بغرابة أن معظم الصعوبات الدراسية (ما عدا

المشكلات العاطفية والعائلية التي تتطلب عناية خاصة) لها علاج واحد.

- وما هو؟

- كتابة ملاحظات.

ثم قالت لي كما لو كانت تعتذر: "أعرف؛ إنه مثل الزعم أن دواء ما يشفي جميع الأمراض. لكنني لاحظت أن الطفل القادر على كتابة ملاحظات بشكل صحيح يمكنه أن يفهم ويتمكن من أي موضوع تقريباً".

لم أنسَ هذه الكلمات مطلقاً. ربما كان طفلك نَهِماً للمعرفة ومزوَّداً بذاكرة ممتازة، لكن حتى العبقري لا يستطيع أن يتذكر كل ما يقرأ، بل إنه سوف يَعي سريعاً أنه ليس من الضروري تذكر كل ذلك. إن القدرة على كتابة الملاحظات تسمح له باستيعاب المعلومات بسهولة وفعّالية.

كتابة الملاحظات خلال القراءة

هذه الملاحظات تشكّل مرجعاً للتلخيص وللتذكير، وبكتابتها يُجبر الطفلُ نفسَه تلقائيّاً على استعراض الموضوع. المرحلة الأولى تتركز في تحديد المعلومة الأساسية ثم تحديد النقاط المتفرّعة عنها، وهكذا سوف يدوّن الطفل العناوين بشكل متدرّج مما يجعلها أكثر سهولة للفهم وللحفظ أيضاً.

ويجب أن يعرف طفلك سريعاً جداً أن كتابة الملاحظات لا تعني النسخ، لأنه إن اكتفى بنسخ ما يقرؤه بفرح فقد تكون فائدة هذا التمرين ضئيلة جداً، لكن هذه الفائدة سوف تتضاعف كثيراً إن

هو أعاد صياغة النص الأساسي. فلنتخيل مثلاً أنه يقرأ المقطع التالي:
"يقع في أقصى شبه جزيرة يوكاتان -بين المكسيك وغواتيمالا- بلد بالغ الصغر يسمى حالياً بيليز، وكان يُعتبر لأكثر من ستة قرون مركزاً أساسياً لحضارة المايا".

إذا اكتفى طفلك بنسخ هذا النص حرفياً فقد لا يستوعب معناه العام، وبالمقابل سيكون استيعابه أفضل إذا أعاد كتابة النص بكلماته الخاصة، مثلاً يمكنه أن يكتب: "بيليز بلد صغير جداً، يقع في أقصى شبه جزيرة يوكاتان بين المكسيك وغواتيمالا. في الماضي كان شعب المايا يعيش فيه، وسكنه لمدة ستة قرون".

يجب على الطفل بالتأكيد أن يتدرب على هذا التمرين في البيت، وبهذا لا يفهم فقط ما يقرؤه بل يتهيأ أيضاً لكتابة الملاحظات في أثناء الدروس، وهو الأمر الأصعب. إن الطفل يستطيع دائماً الرجوع إلى كتابه عندما يقرأ، أما إذا كان يسمع درساً فمن المستحيل سماعه مجدداً. بالتأكيد يمكنه تسجيله على شريط تسجيل إن سمح له المعلم بذلك، لكن التلاميذ الذين استخدموا هذه الطريقة لاحظوا في النهاية قلة فاعليتها، لأنها تُضاعف عملهم حين يضطرون إلى صرف وقت مماثل لوقت الدرس في سماع الشريط ليكتبوا ملاحظاتهم بعد ذلك، فيفقدون وقتاً مُعتَبراً.

كتابة الملاحظات خلال الاستماع

يتكلم المعلم بسرعة وبإفاضة، فيستحيل على الطفل أن يكتب كل ما يسمعه منه. لكنه ليس مجبَراً على ذلك. بدلاً من ذلك عليه الانتباه لعدة نقاط:

- عندما يكتب المعلم شيئاً على اللوح (السبورة) فمن المهم كتابته، فالمعلمون يستخدمون هذه الطريقة للإشارة إلى النقاط الهامة.

- إذا كرّس المعلم وقتاً طويلاً لمسألة ما فهذا يعني أنها معلومة تستحق التسجيل.

- يمكن للمعلم أيضاً إعادة بعض النقاط الهامة عدة مرات، فإذا تركها الطلاب في المرة الأولى فبإمكانهم تسجيلها لاحقاً.

- عادة ما يكون كلام المعلم مليئاً بالإشارات، كأن يستخدم مثلاً تعابير مثل: «الأسباب الثلاثة الأساسية هي» أو «باختصار» أو «ما يجب علينا فهمه جيداً هنا هو» أو «الهدف من هذه العملية»... هذه العبارات تبين مدى أهمية ما سيتلوها، وقد يعطي المعلم أحياناً استراحة قصيرة قبل أن يكمل ليسمح للتلاميذ بالتهيؤ للكتابة. يمكنك أن تلعبي في البيت دور المعلم لتدريب طفلك قبل ذهابه إلى المدرسة.

كتابة الملاحظات في الكتب

عندما يستعير طفلك كتاباً من المكتبة العامة يمكنه البحث عن كلمات أو جُمَل مكتوبة بخطّ كبير أو بخط غامق. هذه الطريقة في الكتابة تُستخدَم غالباً للإشارة إلى النقاط المهمة فلينتبه إليها. علّميه أيضاً أن لا يتجاوز مطلقاً رسوماً بيانية أو جداول أو خرائط في أثناء القراءة، فهي وسائل بالغة الأهمية وتفيد مع النص فهماً أفضل للموضوع.

بدلاً من كتابة الملاحظات يمكن للتلميذ أيضاً أن يخطط تحت

المعلومات المهمة بالقلم الرصاص في الكتاب، بشرط أن يكون كتابه الخاص بالطبع. إذا كان طفلك صاحب الكتاب فيمكنه أن يصنع أياً مما يلي:

يخطط تحت المعلومات المهمة بالقلم الرصاص أو فوقها بالقلم الفوسفوري (هذه الطريقة تُستخدَم لإبراز الأفكار الأساسية).

خط عمودي في الهامش (تُستخدم هذه الطريقة عندما تشغل الفكرة الأساسية أكثر من سطر أو أكثر من جملة).

نجمات (يمكنها أن تفيد في الإشارة إلى رابط بين صفحة وأخرى. مثلاً: إذا جاءت في الصفحة رقم ١ معلومة عن السلاحف، ثم تكررت في الصفحة رقم ٣ مرة أخرى، فضعي نجمة في الهامش واكتبي "انظر صفحة رقم ٣ " أو "انظر صفحة رقم ١ ").

ترقيم (اكتبي بين كلمات النص الأرقام ١، ٢، ٣، ٤، إلخ، للإشارة إلى سلسلة من النقاط المهمة لتذكّرها).

تكوين كلمات (مثلاً يمكن للطفل تذكّر العناصر المختلفة المكوِّنة لورقة الشجرة بأخذ أول حرف من اسم كل جزء منها لتكوين كلمة جديدة[1]).

كلمات محاطة بدوائر (يحدد الطفل بهذه الطريقة الكلمات

---

(١) وهي الطريقة المتَّبَعة في تعلم أحكام التجويد، فيحفظ التلميذ كلمتَي «قُطبُ جَد» لمعرفة أحرف القَلْقَلة أو كلمة «يَرمَلون» لمعرفة أحرف الإدغام، ومن هذا الباب كلمة «نأتي» التي يحفظها طلاب النحو لمعرفة الأحرف التي يبدأ بها المضارع (المترجمة).

الجديدة التي يتوجب عليه البحث في المعجم عن معناها الدقيق).

ملاحظات في الهامش (يمكن للطفل أن يكتب في الهامش أفكاره الشخصية التي يستوحيها من قراءته للنص، فهذه الأفكار المبتكَرة تقوي قدرته على التفكير الإبداعي. على العكس من ذلك، انصحيه بعدم كتابة ملخَّص حقيقي في الهامش، لأن ذلك قد يتلف الصفحة ويمنعه من التعمق في النص).

الملف

يتجه أكثر الآباء إلى شراء دفاتر تقليدية لأبنائهم، مع أنها ليست عملية جداً لأنها ذات أوراق متصلة. اشتري له ملفاً مصنّفاً يمُكّنه من إضافة خرائط أو توضيحات قد يراها تناسب الموضوع، أما الدفتر الملتصق فليست له سهولة الاستخدام ذاتها.

تهيئة أوراق ملاحظاته

انصحي طفلك بتهيئة صفحاته قبل كتابة الملاحظات: اجعليه يخط خطاً عمودياً على بعد خمسة سنتمترات تقريباً على يمين الصفحة، فيترك بذلك هامشاً لتلخيص مقطع أو كتابة كلمات مساعِدة أو تعبيرات معينة، أو تدوين توضيحات أو عناوين جانبية أو أفكار شخصية. في أثناء الدرس أو القراءة (في هذه المرحلة) يجب عليه عدم استخدام الجزء الأيمن من الصفحة. ومن المستحسن أن يعتاد طفلك على الكتابة في فقرات مستقلة، وهو سيتعلم بسرعة متى يتوجب عليه الابتداء بسطر جديد، فمثلاً عندما يعلن المدرس: "والآن فلنهتم بـ..." أو "فلننتقل الآن إلى..." فإن أمثال هذه التعبيرات تشير إلى بداية فقرة جديدة.

إن فائدة الطرق المذكورة سابقاً تكمن في بساطتها وفعّاليتها، فهي تعلّم طفلك أهمية الوضوح والتنظيم. إذا كان له إخوة أو أخوات كبار فيمكنه أيضاً أن يسألهم إن كان لديهم وسائلهم الخاصة في كتابة الملاحظات، فيستفيد من تجاربهم. يمكن أن يصبح هذا التمرين الذي لا يُستغنى عنه مغامرة مثيرة لطفلك، لأنه يفهم العالم عبر جهوده الخاصة، ثم يمضي العبقري بعيداً مسلَّحاً بملاحظاته.



-١٩-

عندما يختبر العبقري نفسه

إن دفاتر طفلك وملاحظاته هي تاريخ عبقريته. عندما يصبح كبيراً بعد سنوات وتجدينها في حقيبة عتيقة في المخزن العلوي، عندئذ يمكنك الاستمتاع بمتابعة مراحل تفتحه التي يمكن إدراكها بفضل علامات صغيرة: كتابات طفولية نضجت، وأخطاء إملائية ونحوية اختفت، وعادات لغوية مضحكة تلاشت... إنها متعة حقيقية أن تتصفحي مراحل نمو طفلك.

بانتظار ذلك، احرصي على أن تجعلي كتابة الملاحظات عادة متأصلة لدى طفلك، وحاولي جعلها تمثل مصدراً للمعرفة والمتعة معاً. إنه سيكون سعيداً برؤية ملفه يزداد امتلاء بزيادة معارفه، وسوف يدفعه ذلك إلى الأمام. ويجب عليك الانتباه الدائم لنوعية المعلومات تماماً كانتباهك لكميتها. شجعي طفلك على احترام ملاحظاته وتقدير قيمتها: إنها درجات السلم الذي يقدمه للنجاح، لكن لا تنسي أن فائدتها تكمن في استخدامها، لذلك ينبغي على الطفل أن «يحترم» ملاحظاته ويجعلها تُحتَرم!

إنني أصرّ على مفهوم «الاحترام» السابق الذكر لأني رأيت كيف تُكتب الملاحظات وتُنسَخ في المدرسة بشكل لا يُصدَّق. إن كثيراً

من التلاميذ يكتفون بنقل الدرس من أحد الأصدقاء (وقد يكون ذلك بمساعدة الوالدين) دون بذل جهد لفهم ما يُكتب. وقبل الامتحان يُخرج أولئك التلاميذ تلك الملاحظات ويحفظونها عن ظهر قلب، ثم يجتازون امتحانهم. هذه هي الطريقة المثلى ليتعلموا قليلاً أو لا شيء... يا لها من إضاعة مُحزنة للوقت، ويا لها من فرص ضائعة للإثراء الثقافي!

لسوء الحظ يعتبر كثير من الآباء -ببساطة- أن التعليم يقتصر على كونه وسيلة للحصول على شهادة، وهم لا يفهمون أن أطفالهم يخسرون بذلك مرحلة جوهرية دون الاستفادة منها. إن التلميذ الذي يستطيع مربُّوه إشباعَه بتذوق المعرفة ويزرعون في نفسه الرغبة في الحصول على معلومات حقيقية، هذا التلميذ أفضل بكثير من ذاك الحاصل على مجرد قطعة ورق. صحيح أن الحاصل على شهادة يملك مؤهلاته في جيبه، لكن المتعطش للمعرفة يملك -بالإضافة إلى ذلك- وسائل علمية حقيقية تقوده للنجاح.

إعادة قراءة فورية للملاحظات

كيف يستطيع التلميذ الاستفادة من الملاحظات؟ الأفضل أن يقرأها في أسرع وقت بعد الدرس، وإن لم يستطع ذلك فليكرس قرابة نصف ساعة لمراجعتها بعد المدرسة، مع تصحيح الأخطاء وإكمال النواقص، وهو سينجح في ذلك بسهولة لأن الدرس ما يزال حياً في ذاكرته.

اختبار ذاتي

تهدف طريقة الاختبار الذاتي إلى تطوير العبقري، حيث

يستطيع طفلك اختبار نفسه بنفسه ليكتشف ما يعرفه وما لا يعرفه. بعض المعلومات ينطبع في الذهن بسهولة، بينما يتجه البعض الآخر إلى النسيان بسهولة. وبفضل الاختبار الذاتي يطمئن الطفل إلى أنه لم ينسَ أياً من النقاط المهمة، ويتحقق -في الوقت ذاته- من أنه قد استغل وقت دراسته بطريقة فعّالة.

بالنسبة للطفل فإن أفضل طريقة للاختبار الذاتي تتلخص في إعادة استخدام ملاحظاته: بملء الجزء الأيمن من الصفحة يبتكر أسئلة مستوحاة من العناصر التي كتبها في الجزء الأيسر (طبقاً للطريقة المشروحة سابقاً)، وهكذا يرى بوضوح أكبر ما استطاع تلخيصه جيداً وما يحتاج إلى مراجعة. مثلاً: إذا كان درسه عن الصين فإنه لا بد أن يتعرض إلى الحديث عن البلد من عدة نواح، مكرساً بضعة مقاطع للمدن الأساسية، وللمنتجات الزراعية، وللأديان، وللنظام السياسي، ولرؤساء الدولة، الخ. بالنظر إلى الملاحظات وعناوين جانبية أخرى في الهامش، يستطيع الطفل أن يسأل نفسه مثلاً:

س: ما هي عاصمة الصين؟ ج: بكين.

س: ما هو أسلوب الحكم في الدولة؟ ج: إنها جمهورية شيوعية.

س: متى بُني السور العظيم؟ ج: في القرن الثالث قبل الميلاد.

امتحان متقدم

الأسئلة السابقة بسيطة وتتطلب إجابات مباشرة، لكن الطفل بحاجة إلى هذه البداية ليستهل مواضيع التفكير الأكثر تعقيداً (التي يمكنك إخضاعه لها):

- لماذا تهتم الصين لهذه الدرجة بالإنتاج الزراعي؟
- لماذا أنشئ سور الصين العظيم؟
- كيف توجه الحكومة حياة الصينيين؟

بالإجابة عن هذه الأسئلة يقيس طفلك ما تعلمه حقيقة، ولا سيما ما فهمه، والنتيجة أنه يتعلم إنعاش تفكيره وحسه التحليلي.

في الفصلين ١٧ و ١٨ عرضتُ بالتفصيل عدة نقاط: كيفية إنشاء إطار دراسي، وتثبيت الدعائم، وكتابة ملاحظات ومعرفة استخدامها. مثل كل الطرق الجديدة قد يتكون لديك انطباع أوّلي بأن هذا عمل جبّار ويتطلب كثيراً من التهيئة والتنظيم، لكن ما إن تبدئي العمل حتى تلاحظي أنه يتطلب في النهاية مجهوداً أقل من طفلك، فهو سيُمضي وقتاً أقل في الدراسة لأنه يتشبع المعلومات بسهولة أكبر.

كلمة عن معدل الذكاء

يتخيل الناس غالباً أن العبقري لا بد أن يملك معدل ذكاء مرتفعاً. ربما تفاجَئين عندما تعلمين أن هذا ليس صحيحاً تماماً، فالطفل الذي يحصل على معدل مرتفع في اختبار الذكاء قد يعرف كثيراً من الأشياء وقد يكون التلميذ الأفضل في فصله، لكن هل يمتلك بالفعل -يا ترى- الحب والثقة الضروريين ليكون في المستوى المطلوب؟ هذه العوامل مهمة أيضاً مثل المعرفة.

إن امتحان معدل الذكاء يقيس العلاقة بين عمر الطفل وتطوره العقلي، حيث تُعتبَر النتيجة الواقعة بين ٩٠ و١١٠ طبيعية أو متوسطة، والطفل الذي يحصل بين ١١٠ و١٣٠ يُعتبر فوق المتوسط، أما إذا

رأينا معدلاً يزيد عن ١٤٠ فإننا نكون أمام «عبقري». ليس سيئاً أن تُخضعي طفلك لامتحان ذكاء، لكنني أخشى دائماً ردة فعلك بعد معرفتك النتيجة. إن كانت نتيجة طفلك أكبر من ١٤٠ فهذا أفضل، لكن إذا كانت نتيجته أقل من ذلك فستُحبَطين بلا شك، وهذا الإحباط يمكن أن يقودك إلى ردود فعل متعددة، من بينها فقدان الشجاعة والتراجع والتعبير عن الإحباط، ناهيك عن الغضب، وهي نتيجة خطيرة.

قد لا يكون طفلك مستعداً أو قد يشعر بالإرهاق حين إجراء الامتحان، وقد يخرج كثير من الأسئلة عن سياقها المعتاد... مهما يكن، من الحكمة أن لا نضفي على النتيجة اهتماماً كبيراً. لا تغيري موقفك ولا توقفي جهودك. لا أريد أن أناقش هنا جدوى امتحان معدل الذكاء، لكن اعلمي أن تأثير ردة فعلك على مواهب طفلك سيكون أكبر بكثير من الرقم الناتج.

إن اتبعت الطرق المعروضة في هذا الكتاب، وإن لم يتعرض طفلك لأي ضغط، فسوف يحوز على نتيجة أعلى من ١٤٠ بالتأكيد، أما إن كانت الحال عكس ذلك فلا بد أن الظروف الخارجية قاهرة وتصعب السيطرة عليها. لا ترمي في وجهه مطلقاً نتيجة سيئة، فأنت تخاطرين بذلك بإحباط معنوياته وهدم ثقته بنفسه. إذا كانت نتيجة الامتحان سيئة فمن الأفضل أن تسألي نفسك: في أي وقت كنت مقصرة تجاهه؟ أعيدي قراءة الفصول السابقة في هذا الكتاب، وصحّحي نقاط ضعفك. أهم ما في الموضوع أن لا يكون موقفك سلبياً مطلقاً، فدماغ العبقري يتفتح في محيط إيجابي: أعطي كل ما تملكين، فالنتيجة تستحق هذا الجهد!

* * *

-٢٠-

تعاوني مع المعلمين

لقد وصلت إلى الفصل الأخير من هذا الكتاب، وهذا يعني أنك بدأت بترقية طفلك على سلم العبقرية المجيد. آمُل أن تكوني قد بدأت بتحرير قدراته الإبداعية الفائقة، وأن تكوني قد حدّدت له أهدافاً على طريق المجد. باختصار، أنت تساعدينه على تنمية قابليته للمعرفة.

ستلاحظين قريباً أن كل هذه التمارين ساعدَته بأن يصبح «مجتهداً»؛ مسحوراً بعالم المعرفة ويريد التقدم أكثر... ها هو برعم العبقري بدأ بالظهور.

لقد لعبت دوراً أساسياً في تطوره، ولا بد أنك لاحظت أن مساعدتك تقود إلى تغيير إيجابي في كل مرحلة جديدة. عندما يصل إلى وقت المدرسة كوني على علم بالبرامج المدرسية، وتابعي تطور طفلك. كثير من الآباء يعتبرون أن مهمتهم انتهت منذ أن يستلم معلّمو المدرسة أبناءهم، على الأقل فيما يخص التعليم، وهذا خطأ؛ ففي نظر الطفل يبقى الوالدان دائماً المرجع الأساسي في كل مظاهر الحياة؛ إنهما النبع المفضل لاستقاء الحب والمعرفة والثقة والحنان.

ومن الطبيعي أن يبقى الوالدان على اتصال منتظم بالمعلمين. كثير من المدارس تنظم أياماً مخصصة يلتقي فيها الآباء بالمعلمين، فاستغلي هذه الفرص لإظهار رغبتك في التعاون بكل الطرق الممكنة، وكلما زاد هذا النمط من التواصل كلما كان طفلك هو الرابح. إن المعلمين يعرفون الطفل تلميذاً وعضواً في فريق، والوالدين يعرفان جوانب شخصيته ومواهبه، وحين يتبادل الطرفان معلوماتهما يكونان قد قدما معاً الدعم الكامل للعبقري الصغير.

قد تكونين واحدة من أولئك الآباء الذين يترددون في الذهاب إلى المدرسة للمشاركة في أمثال هذه اللقاءات، وربما كان السبب في هذا التردد بقايا خجل موروث من أيام الطفولة، أو لعلك تخشين أن يجدك المعلمون شديدة الإلحاح أو أن يأخذوا أسئلتك كنقد شخصي... لكن تذكري دائماً أن المعلمين يحبون اللقاء بآباء تلاميذهم ويتمنون أن يستغل الأطفال تعليمهم على أفضل وجه. عليك البدء باللقاء منذ أول يوم في المدرسة، وإذا وجدت طفلك في أي يوم مبهوراً بموضوع درسه فلماذا لا ترسلين كلمة شكر؟ هذه المبادرات تمس قلوب المعلمين وتشكّل قاعدة تعاون فعّالة.

إن العلاقة بين الأم ومعلمة أطفالها مهمة بالتأكيد، وما لم تبذلي جهداً لتعهدها فقد تأتي أول مقابلة مع المعلمة بعد مناسبة سيئة، لا سيما إذا كان طفلك مقصّراً في المدرسة أو متمرداً، وستخاطرين بأن يضطر طفلك إلى تعويض الخسائر الناتجة. بادري قبل أن يصبح الوقت متأخراً جداً، وانتبهي أيضاً لردود فعلك حين تقع «مأساة» صغيرة. إذا دخل الطفل المنزل باكياً فحاولي أن لا تظهري مماثلة له في الاضطراب، بل سيطري على انفعالاتك، لأن عليك البقاء

محايدة إذا أردت امتلاك فرصة لتهدئة الموقف. شجّعي طفلك على رواية ما حصل وعلى التعبير عن ما يشعر به، اطلبي منه مثلاً أن يرسم أو يكتب نصاً قصيراً، ثم ابتكري بعد ذلك نشاطاً ما لترفعي به معنوياته. في كل الأحوال لا تتصلي بمعلمته قبل معرفة الموقف بوضوح، فموقفك الهادئ والإيجابي يؤثر إيجابياً في المعلمة التي تريد -بدورها- مساعدة طفلك. ومن سيكون المستفيد من ذلك؟ طفلك بكل تأكيد.

للحصول على نتيجة جيدة حاولي الالتزام بالخطوات التالية:

١- ابقي هادئة. فكري في الأسئلة التي تودين طرحها على المعلمة، واكتبيها عند الحاجة.

٢- اتصلي بالمعلمة هاتفياً، أو اطلبي مقابلة ودية لمدة ربع ساعة. حاولي تبني موقف صداقة وتعاون معها.

٣- لا تظهري الغضب في أثناء المقابلة، فأنت بذلك تخاطرين بوضع المعلمة في موقف دفاع. على العكس من ذلك، اعرضي قضيتك بهدوء ثم استمعي لإجابتها، فقد تمتلك معلومات لا تعرفينها. وابدئي اللقاء بطريقة بنّاءة، وهكذا تشتركان معاً في تذليل صعوبات طفلك.

٤- أجيبي بصراحة على أسئلة المعلمة وبأكمل طريقة ممكنة، فكلما زودتها بمعلومات أكثر كانت أكثر فعّالية.

٥- حاولي فهم توقعات المعلمة من ناحية التصرف في الفصل والواجبات المنزلية، ودور الوالدين في كل ذلك، وهي ستكون قادرة على أن تقترح عليك إجراءات لتطبيقها في المنزل.

٦- استمعي إلى تعليماتها، فبفضل خبرتها العميقة يمكنها نصحك بنشاطات تعليمية لامدرسية.

٧- طوّرا معاً خطة للعمل المشترك، وفي حالات كثيرة قد تكون مشاركة الطفل في إعداد هذا البرنامج مفيدة.

أحب توضيح هذه النقاط الأخيرة بقصة حدثت مع طفلة صغيرة يمكن وصفها بأنها «عبقرية» بكل معنى الكلمة. كانت تجد سهولة كبيرة في المدرسة، لدرجة تجعلها متباهية إلى حد ما، وهي شديدة الانطلاق والمرح فيما يخص واجباتها. ولم تكن أمها تستسيغ هذا التصرف المتكبّر، وقد عبَّرت عن ذلك للمعلمة قائلة: ماذا يتوجب عليّ أن أفعل؟

- اعذريني لطريقتي في التعبير، لكن طفلتك بحاجة إلى عظمة كبيرة لكسرها. يجب إعطاؤها تحدياً لتجتازه.

بعد تفكير طويل وضعا معاً خطة الهجوم. سُجِّلت الطفلة في صف الحاسب، وقد نجحت فيه تماماً لكن بشكل مختلف: حيث لاحظَت أنه يتوجب عليها بذل جهد أكبر لتبقى في المستوى المطلوب، وهكذا اختفى تصرفها المتعجرف لتجد التوازن أخيراً.

* * *

إنها ليست النهاية، بل البداية

لقد عشت دائماً طبقاً لمبدأ لم يخذلني قط: "كل شيء أعمله في كل يوم أعتبره بداية لأمر جديد". أو بعبارة أخرى: "إن الحياة تُقدّم لنا طَوال الوقت فرصاً جديدة وإمكانيات جديدة"؛ فتبنّي هذه الفكرة لنفسك ولطفلك، وكوني مقتنعة بأنك تملكين نبعاً لا ينضب تستطيعين الاغتراف منه باستمرار لتحرير مواهبه.

* * *

للتذكير والتلخيص، هذه عشر خطوات أساسية ينبغي اتّباعها:

١- ازرعي بذور العبقرية

إنه ليس حلماً وهمياً: يمكنك الوصول إليه إن رغبت، وإن كنت مقتنعة أنك قادرة على ذلك.

٢- كوني مبدعة

فعبقرية طفلك تنمو وتزدهر بفضل جهودك وخيالاتك.

٣- أنشئي بيئة ملائمة

يجب أن نكون في مكان صحي حتى ننتج ونشعر بالأمن. اجعلي منزلك صومعة للمعرفة.

٤- اروي قصصاً

القصص والحكايات غنية بالمعلومات والحكمة، فلا تتجاوزي

هذا الكنز الثمين دون الاستفادة منه.

٥- شجعي طفلك على القراءة والكتابة

بهذا تفتحين أبواب المعرفة للمكتشف الصغير.

٦- حوّلي حياته إلى لعبة دائمة

بالنسبة للطفل كل شيء يمكن أن يكون حجة للّعب، كما أن قلبه النقي فضولي للمعرفة، فاعملي على أن يتعلم وهو يتسلى.

٧- أيقظي طموح طفلك

تصنعين ذلك بإعطائه صورة قوية عن نفسه. لا تحبطيه أبداً.

٨- تعلَّمي تحفيزه

استثمري المواهب الفطرية لطفلك بواسطة التحفيز.

٩- سيطري على أسرار تعليم جيد

مع فهم «جيد» وذاكرة «جيدة» يصبح طفلك مزوَّداً بعدة النجاح في الحياة.

١٠- ثبّتي الدعائم

اعرفي دائماً كيف تشقّين الطريق الذي يقود طفلك إلى تقدير نفسه، وإلى المعرفة والعبقرية.

* * *

وأخيراً تذكري هذا المبدأ الأساسي الممتلئ بالحكمة: «بالإرادة قد نخطئ أحياناً، وبعدم الإرادة نخطئ دائماً».

لا شيء يعدل تذوُّق العمل والمغامرة، ويمكنك تحقيق

ذلك لطفلك بتطبيق القاعدة الثلاثية: المثابرة، والصبر، والموقف الإيجابي.

يمكنك إيقاظ العبقرية في طفلك إذا ردّدتِ باستمرار: "أستطيع فعل ذلك". إذا تسلَّحت بهذا اليقين فلن تتأخري بحصد ثمار جهودك؛ وسوف تسترخين قريباً على مقعدك المريح وعلى شفتيك ابتسامة وأنت تفكرين: "طفلي عبقري"!

* * *

المحتويات

أيقظي العبقرية الكامنة في طفلك




ISBN 2-1957-1254-7
9782195712549

